يوميات المقاومة في مخيم جنين ٢٠٠٢

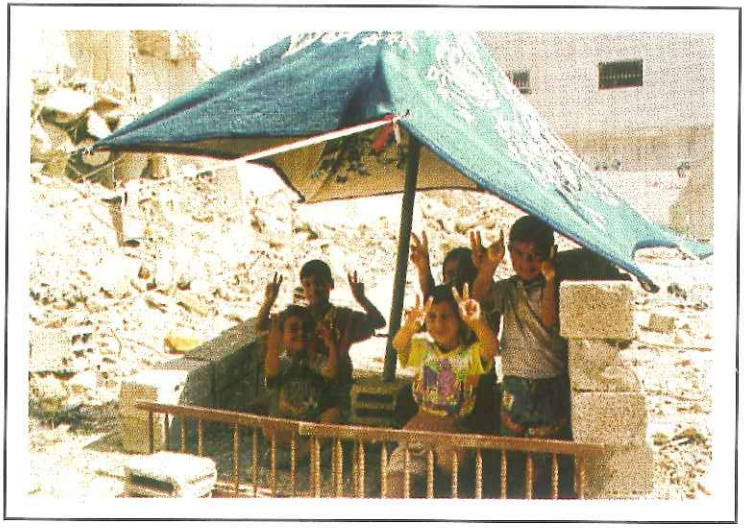

إعداد وتحرير
وليد دقة

يوميات المقاومة في مخيم جنين

٢٠٠٢

إعداد وتحرير
وليد دقة

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
رام الله، فلسطين

Testimonies of Resistance
The Battel for Jenin Camp 2002

Waleed Duqa

© Copyright: MUWATIN - The Palestinian
Institute for the Study of Democracy
P.O.Box: 1845 Ramallah, Palestine

2004

ISBN: 9950-312-05-1

جميع الحقوق محفوظة
مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
ص.ب ١٨٤٥، رام الله، فلسطين

٢٠٠٤

تصميم وتنفيذ مؤسسة نادیا للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
رام الله - هاتف ٠٩١٩ ٢٩٦ - ٠٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وأفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس
بالضرورة موقف مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

المحتويات

تمهيد	٥
مقدمة	٩
شهادة الحاج علي الصفوري	١٩
شهادة جمال حويل/مخيم جنين	٦٥
شهادة يحيى محمد عبد الرحمن الزبيدي	١٠١
شهادة عبد الجبار خليل خباص	١١٣

تمهيد

هذا كتاب مختلف، كتاب التقطه أحد الأسرى القدماء في سجون الاحتلال من أفواه رفاقه الجدد: مقاتلي معركة مخيم جنين، الذين أسروا بعد أن خاضوا معركة المخيم حتى الطلقة الأخيرة. لذا فهو وثيقة ساخنة وحية، تروي فيها الوقائع يوماً بيوم، وبالتفاصيل، ومن جميع الاتجاهات: الاشتباك العسكري، تكتيكات العدو، تكتيكات المقاومة، الأسلحة المستخدمة، العلاقة مع أهالي المخيم، العلاقة مع وسائل الإعلام، وكل شيء.

لقد تمكن الأسير القديم وليد دقة من الحصول على التجربة قبل أن تجف، وقبل أن تثبها النسيانات. فقد رأى أنها يجب أن تجمع الآن وليس غداً، لأن غداً سيؤثر بالتأكيد على طريقة رواية التجربة وعلى حقائقها، مهما كنا عادلين ومنصفين.

من أجل هذا، فالكتاب كتاب تأسيسي حقاً، أي أنه يعطينا المادة الخام التي تمكننا من النظر بشكل جدي في معركة "مخيم جنين" لاستخلاص العبر منها. وعلي أن أقول إنها ليست عبراً محلية الطابع، أي أنها لا تخص الوضع الفلسطيني وحده، بل عبر عامة تتعلق بإمكانية حروب المدن والتجمعات السكانية في القرن الجديد، القرن الواحد والعشرين. وإذا كانت هذه المعركة العظيمة أوشكت أن تنسى بعد حرب أمريكا على العراق التي سقطت فيها المدن كما تسقط عريشة من كرتون، فإن هذا الكتاب يأتي لكي يستعيد روحها، معلناً أن إرادة الناس في المقاومة هي الأساس.

فبعبوات ناسفة محلية الصنع صمد "مخيم جنين" صموداً لا يصدق، فاتحاً الباب من جديد لإعادة بناء أسطورة التجمع السكاني المقاوم الذي لا يقهر.

صحيح أن المخيم الصغير قد سحق في النهاية، لكن ليس قبل أن يوصل الرسالة: وهي أن أساطير ستالنيغراد، بيروت، وغيرها يمكن بعثها من جديد، إذا كانت إرادة القتال والصمود قائمة وموجودة.

لقد كان من سوء حظ "مخيم جنين" أن جاء سقوط بغداد بعد أسابيع من انتهاء معركته. فقد بدا أن رسالته لا تصلح لهذا الزمن، وأن رسالته رسالة غير واقعية. لكن هذا كان مجرد سوء حظ لا غير. فإرادة الصمود عند الناس، روح المقاومة، هي وحدها من يقرر في النهاية. هذا ما أثبته المخيم. وهذا ما أثبتته بغداد بشكل معاكس، بغض النظر عن الظروف التي يدركها الجميع.

لذا، فإن حمل الرسالة المقاومة لهذا المخيم ونشرها أمر ضروري من أجل استعادة روح المقاومة في المنطقة العربية كلها، في فترة الاحتلال الجديد. إنها مهمة وطنية وقومية، على أقل تقدير.

وهذا الكتاب محاولة في هذه الطريق، بهذا المعنى فهو ليس كتاباً، إنه عبوة ناسفة ضد روح الهزيمة والاستسلام على مدى الأرض العربية.

لقد قرأت هذا الكتاب بمتعة ودهشة كاملتين: متعة نابعة من الاستجواب الدقيق والشيق الذي أجراه المناضل "وليد دقة" مع رفاقه من مقاتلي "مخيم جنين"، ودهشة من أننا لم نكن نعرف إلا القليل عن المعركة العظيمة لـ "مخيم جنين".

لم يحن الوقت بعد لكتابة تاريخ كامل ومفصل لهذه المعركة، لكن من دون هذا الكتاب لم يكن ممكناً لنا البدء بهذه المهمة، بعد وضع لنا الأساس للقيام بها، أما الذين انهكتهم الهزائم المتتالية فسوف يأتي اليوم الذي يدركون فيه أهمية معركة "مخيم جنين" التي وضعت مقاتلين عاديين مثل "أبو جندل" ورفاقه لم يتدربوا في الكليات العسكرية على قدم المساواة مع الناس الذين يستحقون الذكر في التاريخ العسكري العالمي.

وفي الشارع الفلسطيني الذي ذهل للسقوط السريع لبغداد، كان الناس يتذكرون، كلما هاجمتهم موجات اليأس "مخيم جنين" ولسان حالهم يقول "لقد صمدنا هناك بالبندقية والعبوة المحلية، ونحن فخورون بذلك" وهكذا فقد ساعدهم "مخيم جنين" على الصمود وعلى الاستمرار في المواجهة، وما من مهمة أعظم من هذه المهمة.

ختاماً، نشير إلى أن أصحاب هذه الشهادات قد اطلعوا عليها بعد طباعتها ووافقوا خطياً على نشرها، وإن المعلومات الموجودة فيها معروفة لدى الجهات الإسرائيلية، وأن أية معلومات غير معروفة لم ترد في الشهادات.

زكريا محمد

محرر سلسلة التجربة الفلسطينية

مقدمة

مقدمة

من تبقى من المقاومين في مخيم جنين على قيد الحياة يضع شهادته مصدراً للباحثين وتجربة مكتوبة لفائدة المناضلين. إنهم يتكلمون للمرة الأولى لكي لا تتراكم طبقات الأساطير على التجربة من ذكرى إلى أخرى، ولكي تحرر التجربة ممن صادروها عبر التغني بها ومعارضتها في الواقع وممن حولوها إلى مجرد شعار. مادة لم تنشر من قبل. كتب الكثير عما جرى في جنين ولكن أحداً لم يسأل المقاومين، وفعل ذلك "زميلهم" الأسير المناضل والمثقف وليد دقة الذي يقضي في السجن حكماً مؤبداً منذ سبعة عشر عاماً.

هناك مسافة نحافظ عليها عندما نكتب بين الحدث – القضية وبيننا، مسافة من الزمان والمكان بل والحالة النفسية، وبالتالي هناك مسافة أيضاً بين ما نكتب وما نكتب عنه .. فلا يمكن أن نكتب عن الموت أو الجوع أو الخوف ونحن نعيش هذه الحالات باللحظة ذاتها .. فمهما كانت كتابتنا صادقة متفاعلة مع الحدث – الحالة لا يمكنها أن تكون هي الحالة. لا أحد يكتب بمداد الأمعاء عن الجوع، ولا أحد يكتب بمداد الدم عن القتل والموت .. لا تصدقوا هذه المبالغات فهي ليست سوى محاولات بلاغية للاقتراب في كتابتنا من الحالة أو أقرب ما يمكن إليها .. لكنكم أبداً لن تجوعوا عندما ستقرأون عن الجوع، ولن تموتوا أو تخافوا عندما تقرأون عن الخوف .. فلو

كان الأمر كذلك لما قرأتم إلا إذا كنتم مازوخيين، وما دمتم تقرأون بنهم أو بمتعة فأنتم على أكثر تعديل ساديون.

الكتابة عن الاعتقال - السجن كحالة فقدان الحرية تختلف بهذا المعنى عن الموت أو الخوف أو الجوع، فأنت بإمكانك أن تكتب عن حريتك المسلوبة وعن تجربة الأسر وأنت في الأسر، أن تعيش اللحظة وأن تصفها معاً، في حالة فقدان الحرية يؤكد لي بأن الحرية أقل أساسية من الوجود المادي للإنسان الذي يتهدده الموت أو الجوع. والقول بأنه "ليس على الخبز وحده يحيا الإنسان" يتصارع مع القول بأنه "لا توراة بدون قمح" .. وعندما تكون الكتابة ممكنة عن فقدان الحرية في لحظة فقدانها يعني بأن الكتابة ستكون أكثر دقة وقرباً لصورة الواقع .. والقدرة على الكتابة عن فقدان الحرية في لحظة فقدانها ممكنة لأن الكتابة هي حالة تسلل خارج أسوار السجن ووسيلة هروب للوعي خارج زنازينه حتى لحظة الكتابة عن الزنازين. وبهذا المعنى أن تكتب وأن تعيش الحالة تغدو الحرية أو فقدانها هي حالات ذهنية أو فكرية واعية تمارس من خلال الكتابة أو الحديث عنها بمعزل عن الحالة المادية للجسد المأسور والمعزول عن العالم الخارجي .. وفقدان الحرية أو توفرها ليسا حالة قانونية فوفقاً لوضعي القانوني، فأنا أسير لا يمكنني الوصول إلى سريري إلا بفتح ثمانية أبواب ..

لقد أوصدت هذه الأبواب منذ سبعة عشر عاماً، وبقيت أرفضها وأرفض مترتبات تصنيفي كأسير، هذه ليست حالة انفصام عن الواقع، وإنما رفض له كما لو كان قدراً .. رفض مبني ومؤسس على قناعة بأنه واقع لكنه ليس الواقع، وهو حياة أعيشها لكنه ليس الحياة .. لقد حاولت طوال سنوات الأسر أن أوسع مساحة حريتي ووسائل توسيع مساحة الحرية متعددة، فالقراءة هي انتقال إلى عالم غير عالم السجن، والتلفاز وسيلة مهمة لكنه وسيلة رخيصة سريعة تعطّل الخيال الإنساني الطبيعي، فأنت لست بحاجة لأكثر من ضغطة على زر المتحكم وزوج عيون تتابع بهما الشاشة. الهروب خارج الأسوار عبر الخيال الإنساني الطبيعي يحتاج إلى قدرات ذهنية، وإلى لعبة دماغية خاصة وممتعة، أنت، بعكس التلفاز، أنت الذي تختار المشهد وتطوراته، تختاره حسب حاجتك ورغبتك .. الرواية تأتي ما بين

التلفاز والتخيل الحر في الرواية، تأخذ صورة مشهد أولي ولكنك تطوره وتضيف عليه ما تشاء وكيفما تشاء .. والحرية بهذا ليست تخيل وخيال، بل هي حقيقة دماغية تقررها أنت وتنقلها خطوة أخرى إلى الأمام إن أردت .. إن الكتابة هي خطوة أولى في نقل الحرية المتخيلة إلى واقع، ففي البداية حروف وكلمات، ومن ثم أفكار وخطوات عملية، والحرية على كل حال ليست حالة ذهنية كقول أحمد شوقي "كن جميلاً ترى الوجود جميلا" لكنها في الآن نفسه ليست محكومة بالواقع المادي، قد تكون هي الحالة الإنسانية بزئبقيتها أو غازيتها متهربة متسلّلة، كم هم كثر أولئك الذين يعيشون خارج الأسوار وحريتهم تتهرب وتفلت منهم ويعيشون في سجون محكمة ..

أنا الأسير وليد نمر دقة من فلسطينيي الداخل – ٤٨ من مواليد باقة الغربية عام ١٩٦١، كنت قد التحقت في بداية الثمانينيات أنا ومجموعة من شباب الداخل في صفوف أحد فصائل الثورة الفلسطينية (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) .. تم تنظيمنا في مجموعة عسكرية مؤلفة من سبعة عناصر، ثلاثة منها من قرى الجليل، وأربعة من منطقة المثلث .. وفي العام ١٩٨٤ تم فرز ثلاثة من أعضاء المجموعة للقيام بتدريبات عسكرية وأمنية ليقوموا لاحقاً بتشكيل ومتابعة جهاز عسكري يعمل داخل إسرائيل، وقد ترأس هذا الجهاز الرفيق الشهيد إبراهيم الراعي من سكان مدينة قلقيلية الذي اعتقل وتمت تصفيته جسدياً في زنازين سجن الرملة، وقد ادعت إدارة السجون بأنه قام بالإنتحار. وقد كنت واحداً من الثلاثة الذين تم اختيارهم، حيث تقرر تسفيرنا سراً بجوازات مزورة إلى سورية بعد أن سافرنا إلى دول أوروبية مختلفة كمحطة مؤقتة نتسلم بها أوراقنا وهويتنا الجديدة .. وفعلاً أجريت لنا التدريبات اللازمة في أحد المعسكرات التابعة للجبهة الشعبية في سوريا قريباً من الحدود الأردنية، حيث استمرت التدريبات شهراً تقريباً، تلقيت خلاله تدريبات مختلفة على الأسلحة الخفيفة والمتفجرات، بالإضافة لدورة نظرية في كيفية جمع المعلومات .

وقد التقيت هناك بمسؤول فرع الأرض المحتلة في حينه أبو نضال الذي كان واضحاً من حديثه بأن مهمتنا كجهاز عسكري تتلخص بثلاث نقاط .. الأولى جمع المعلومات حول قادة ومسؤولين إسرائيليين لهم علاقة بأحداث

لبنان عموماً ومجزرة صبرا وشاتيلا خصوصاً .. والثانية القيام بعمليات عسكرية لتصفية هؤلاء المسؤولين، والثالثة اختطاف عسكريين بهدف مبادلتهم بأسرى فلسطينيين وعرب معتقلين في السجون الإسرائيلية. وقد عملت وأعضاء الجهاز لمدة عامين تقريباً إلى أن تم اعتقالي العام ١٩٨٦ بتهمة خطف وقتل جندي إسرائيلي ومحاكمتي بالسجن المؤبد، حيث أمضيت حتى الآن سبعة عشر عاماً.

لقد كان للدمار الذي خلفه الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وخصوصاً مذبحة صبرا وشاتيلا الأثر الكبير عليّ وعلى نفوس الكثيرين من الشباب من أبناء الشعب الفلسطيني داخل ما يسمى بالخط الأخضر، وقد دفعتنا هذه الأجواء للالتحاق بفصائل المقاومة الفلسطينية في محاولة منا لحسم التناقض الذي عاشه المواطن العربي في إسرائيل، وجيلنا عاشه بتكثيف عال بفعل ما أفرزته الحرب من مآس. وهذا التناقض باعتقادي أيضاً تعيشه فئة الشباب اليوم بتكثيف عال في ظل ما يقوم به الاحتلال من جرائم حرب ضد الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة. إن التناقض الذي كان وما زال بين كوننا ننتمي للشعب الفلسطيني ونحمل الهوية القومية العربية بهمومها وأحلامها، بآمالها وآلامها، وبين كوننا نحمل المواطنة الإسرائيلية التي تتيح لنا قانونياً أن نبقى في وطننا وعلى أرضنا ومواطنين في دولة تعرف نفسها بأنها دولة اليهود .. أمام هذا التناقض حسمنا في حينه خيارنا لصالح فلسطينيتنا وعروبتنا بالالتحاق بفصائل المقاومة في الوقت الذي كنا به فاقدين لأي صبغة سياسية أو نظرية أو حتى قانونية تمكننا من تطويع التناقض بالنضال بين انتمائنا الوطني والقومي وبين مواطنتنا .. إلا أن حسمنا هذا الذي قد يكون حلاً فردياً ممكناً لكنه ليس حلاً لشعب بأكمله وليس حلاً لمليون ومئتي ألف عربي من المواطنين العرب في إسرائيل .. لقد اختلطت علينا الأمور ولم نعرف كيف نتعامل مع مفهومي المواطنة والوطنية، ولم يوفر لنا أي حزب أو قوة سياسية عربية فهماً أو إطاراً يتيح لنا مساحة كافية من النضال نحافظ من خلالها على هويتنا القومية، ونمارس واجبنا الوطني من جهة .. ومن جهة أخرى نحافظ على وجودنا وأن ننزرع في أرضنا ونطالب وبجدية بمواطنتنا الكاملة.

لقد اعتقدنا كما حاولت أطروحات القوى والأحزاب العربية واليهودية إقناعنا بأن نختار بين المواطنة والهوية الوطنية، لكننا نعتقد اليوم بأن الحسم لأحد الخيارين عبر شطب الخيار الآخر يعني في ظروفنا كأقلية قومية وفي ظل واقع سياسي وقانوني ذي خصوصية مركبة بأننا نفقد الخيارين معاً. فما معنى المواطنة على حساب الهوية القومية؟ يعني مواطنة مجزوءة، مواطنة غير كاملة تستجدي الحقوق ولا تحصل على فتاتها كما تعني بالتالي الأسرلة، وما معنى أن نحسم الخيار كما فعلنا في حالتنا لصالح الانضمام لأحد فصائل م.ت.ف يعني فقدان المواطنة، وفقدان المواطنة في حالتنا كعرب في إسرائيل يعني اللجوء وفقدان الوطن، بل ويعني توفير المناخ والمبررات لمنظري الترانسفير لمزيد من مصادرة حقوقنا كأصحاب الأرض الأصليين .. وهذا كما قلت قد ينفع لحسم حالة التناقض لدى الأفراد، لكنه لا يمكن أن يكون مشروعاً نضالياً للأقلية القومية العربية في إسرائيل، وخصوصاً بعد أن قفزت إتفاقيات أوسلو عن هذا القطاع من الشعب الفلسطيني، بل وقفزت عنا ممن التحقوا في صفوف المقاومة الفلسطينية، حيث اعتبرت قضية الإفراج عنا كسائر المناضلين في إطار اتفاقيات أوسلو مسألة لا علاقة للمفاوض الفلسطيني بها، وإنما هي شأن إسرائيلي داخلي.

بعد توقيع اتفاقيات أوسلو، وظهور حزب التجمع الوطني الديمقراطي كحزب قومي عربي ديمقراطي يحمل مشروعاً فكرياً وسياسياً في قلب واقع فلسطينيي الداخل المركب، التحقت والتحق عدد من الأسرى بصفوفه بعد أن طور هذا الحزب فكراً سياسياً بشعاره الناظم – دولة كل مواطنيها – ووسع أمامنا وأمام العرب في الداخل وأمام الأجيال الشابة هامش النضال السياسي الوطني الديمقراطي دون حاجة لا للتفريط بالهوية الوطنية والقومية ولا المغامرة بمواطنتنا وتهديدها. لقد منحنا حزب التجمع بفكره السياسي فهماً أعمق للوطنية والمواطنة، حيث لا فكاك بين شقي هذه المعادلة، هوية قومية ومواطنة كاملة، وفتح باب النضال في مواجهة الصهيونية في عقر دارها، كاشفاً أزمتها التاريخية وعمق التناقض بين يهودية الدولة وديمقراطيتها في الوقت الذي تغلق به أبواب كثيرة للنضال أمام الشباب الفلسطيني والعربي. إن انتمائي للتجمع لم يكن انتماءً لبرنامج ومشروع

فيه ركون أو هروب وكسل، بل انتماء فيه من النضال والعمل الذي يتجاوز حدود قضايا الأقلية القومية العربية في إسرائيل، وفيه مزيداً من الالتصاق ومزيداً من الانتماء لشعبنا العربي الفلسطيني وقضاياه الوطنية والمطلبية.

لم تتح لي فرصة الدراسة الجامعية، فقد التحقت بسوق العمل مباشرة بعد إنهائي الدراسة الثانوية في العام ١٩٧٩، حيث عملت في ورش البناء والمطاعم والفنادق في تل-أبيب .. وقد وفرت لي سنوات الاعتقال فرصة للدراسة الذاتية، بل وفرصة لخوض تجربة عملية نادرة للمشاركة باعتقادي بأصعب وأشق جبهات المقاومة، حيث كان مطلوباً، في ظل الاعتقالات الواسعة أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى، إعادة تنظيم وترتيب صفوف هذا الجيش الفلسطيني الذي وصل إلى ما يزيد على ١٣ ألف معتقل، فكانت فرصة لنقل ما اكتسبته من دراسة وفهم نظري عبر إكساب هؤلاء الشباب ما كنت قد اكتسبته من أسرى الرعيل الأول الذين أمضوا سنوات طويلة داخل الأسر، أمثال الشهيد عمر القاسم الذي توفي في السجن بعد أن أمضى ما يقارب الـ ٢٠ عاماً إثر مرض عضال .. لقد كان بالنسبة لي الالتحاق بجامعة تل-أبيب المفتوحة، حيث حصلت على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية، وأعمل الآن على إنهاء دراستي لشهادة الماجستير في موضوعات متعلقة بالديمقراطية .. محاولة لتطوير أدوات النضال لجانب التجربة العملية واليومية، بل ولجانب ضرورة الحفاظ على الذات من التآكل نفسياً ومعنوياً جراء سنوات الاعتقال الطويلة فالسجن يأخذ مني كل يوم، وأحاول تعويضه بالدراسة والتواصل مع شعبنا من داخل الزنازين .. فأخطر ما قد تواجهة الحركة الوطنية الأسيرة هو أن يتحول عناصرها إلى أناس يتركزون فقط بهمومهم الشخصية ويعيشون محنة الأسر والحرمان من الحرية ويغدون كالمرضى متركزين بمرضهم وشكواهم بدل التركيز بواقع شعبهم وهمومه وقضاياه، ففي هذه الحالة يتحول المناضلون إلى هم بدل أن يكونوا حاملي الهم الوطني، وإلى كم مفرغ بدل أن يمثلوا نخبة النضال والمقاومة. بهذا الفهم جاء توجهي لرفيقي وصديقي الدكتور عزمي بشارة بضرورة تدوين تجربة الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية الباسلة في مخيم جنين، حيث وفر من وقته وجهده وعلاقاته لإيصال صوت هؤلاء المناضلين، ووفر كل ما يلزم

لنشر روايتهم بشكل يليق بتضحيات الشهداء والجرحى ليطلع عليها المواطن العربي من مصدرها الأول. إن نشر رواية المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين وعلى لسان المقاومين أنفسهم تحول دون تشويهها أو استغلالها من قبل أولئك الذين تنكروا لها في خضم المعركة، واليوم تسمع بعض هذه الأصوات تقوم حيناً بتعهير المقاومة وحيناً تستغلها لصالحها والمقاومة براء من الطرفين .. بل ويحمي النشر فكرة المقاومة، وبالتالي الروح المعنوية للمقاومين في ظل حملة تحريض شرسة انطلقت بعد الحادي عشر من سبتمبر تهدف إلى توصيف النضال الوطني الفلسطيني كإرهاب.

إن إسرائيل التي تهدم مئات البيوت وتقتلع الأشجار وتقتل وتشرد وتعتقل آلاف الأسرى إنما تقوم بذلك بحجم يفوق، وفقاً لفهم وعقلية جنرالاتها، حاجاتها الأمنية الفعلية، لكنها تدرك تماماً بأن المعركة ليست عسكرية، وإنما معركة على الحالة المعنوية الحامية للمقاومة كفكرة .. والمقاومين بصفتهم حاملي هذه الفكرة ويشكلون حالة تحدٍ معنوي تريد إسرائيل إثقالهم بهموم وجراح شخصية تخلقها لأهلهم، بل وتحاول مؤخراً إدارة السجون مع وزير أمنها الداخلي تضييق الخناق على الحركة الأسيرة لجعل حياة الأسر جحيماً لا يطاق كي لا يتسنى، كما ذكرت، للمناضلين التواصل مع شعبهم بقضاياه وهمومه، إن إسرائيل استنفدت كل خططها العسكرية لكن جنرالاتها يدركون بأن الحالة المعنوية للشعب الفلسطيني ما زالت عالية وتتحدى آلتهم العسكرية، وبالتالي فإن الحالة المعنوية للأسرى بصفتهم نواة المقاومة الصلبة مستهدفة بشكل أساسي، إن نشر رواية الأسرى المقاومين في مخيم جنين واستمرار التواصل مع شعبهم وأمتهم العربية ليس من شأنه أن يعزز صمودهم ويحافظ على ذاكرة النضال فحسب، بل ويحافظ على المناضلين كقيمة وطنية ومعنوية.

ستوفر هذه الشهادات للباحث والمؤرخ بالتأكيد مادة مهمة باعتقادنا سيكون بمقدوره أن يتناول من خلالها مسيرة المقاومة والانتفاضة بالنقد الموضوعي، وأن يكشف عن مكامن ضعفها وقوتها، كما سيجد القارئ إلى أي حد يمتلك هذا الشعب وهذه المقاومة من الاستعدادية للتضحية والعطاء والجراءة المنقطعة

النظير .. وبقدر ما سيزداد فخراً واعتزازاً أمام هذه الصورة سيزداد الإنسان العربي تساؤلاً إلى متى سيظل هذا الجرح الوطني والإنساني ينزف؟ ولماذا لا تنتصر القضية الفلسطينية العادلة على الرغم من كل هذه التضحيات؟؟

وليد دقة

شهادة الحاج علي الصفوري

شهادة الحاج علي الصفوري

علي سليمان السعدي أو كما هو معروف في أوساط المناضلين وأثناء معارك حصار مخيم جنين بالحاج علي الصفوري نسبة لبلده صفوريا وقد أجبرت أسرته العام ٤٨ على الرحيل منها والاستقرار كلاجئين في مخيم جنين. الحاج علي كان من القادة البارزين في مواجهات المخيم ومن الـ٢٧ مناضلاً الذين حوصروا في أحد منازله، ومن ثم أسروا بعد أن دمرت جرّافات وطائرات ودبّابات الجيش الإسرائيلي غالبية منازل وأحياء مخيم جنين.

الحاج علي كيف تحب أن أناديك علي السعدي، علي الصفوري، أم الحاج "هاون"؟

الحقيقة أنا كل الأسماء فخور بها لأنها أسماء شرف وعز، وكل اسم هو فخر لي. طبعاً "الحاج" نسبة لكوني حجّيت والحمد لله رب العالمين، واسمي الحقيقي علي سليمان سعيد السعدي، من عائلة السعدي. والكنية "صفوري" كوني أنا أصلاً من صفوريا. الحاج "هاون" أطلق علي هذا الاسم لأني أول من صنع "الهاون" في منطقة الشمال وتم ضربها على مستوطنة "جديم"، وفعلاً تم النجاح. وعلى هذا الأساس أطلق علي اسم الحاج "هاون".

هل تدربت عسكرياً . . أو هل لديك مؤهلات عسكرية؟

في الحقيقة أنني ما تدربت ولا في أي كلية عسكرية. تدربت من الواقع الذي عشت فيه، لأن الواقع الذي أعيشه هو واقع احتلال وظلم واضطهاد جعلني مقاتلاً في السليقة. فمنذ بداية السبعينات وأول ما صحوت على الحياة بدأت من الحجارة وتطورت روح القتال لأن الاحتلال ما زال موجوداً إلى أن أصبحنا نضرب "الهاون"، عموماً ما تدربت عسكرياً وأنا في الحقيقة حداد أبواب وشبابيك وهذه مهنتي الأساسية.

هل اعتقلت في الماضي؟

نعم اعتقلت في السابق في العام ٧٦ لمدة سنة وبعدها طبعاً أطلق سراحي العام ٧٧ حتى عدت عام ٧٨ للسجن وأفرج عني مرة أخرى في عام ٨٣. كنت مسجوناً في سجن جنين، ومن ثم نقلت لسجن نابلس المركزي، أمضيت محكوميتي في نابلس المركزي وأطلق سراحي من هناك.

كنت على ما أظن عضواً في حركة فتح . . أليس كذلك؟

نعم كنت في تنظيم فتح، وبداية اعتقالي الأول كان بسبب إلقائي الحجارة ومظاهرات ورفع أعلام، وقد تم اعتقالي أثناء إحدى المظاهرات، وأمضيت سنة وبعدها اعتقلت على حيازة عبوات ناسفة. بعد الإفراج عني أكملت مشوار حياتي طبيعياً وعادياً إلى أن جاءت اتفاقيات أوسلو على أمل أن تحقق شيئاً لهذا الشعب، الشعب الفلسطيني، وللأسف لم تحقق له أي شيء وكما تعرف هب شعبنا مفجراً انتفاضة جديدة، وطبعاً على كل انسان حر وشريف يرى شعبه يهان ويضرب ويدمر ان يقف لجانب شعبه ويقاوم ولو بجزء بسيط .. والحمد لله رب للعالمين بأنه فضل علينا وأنعم وأكملنا مشوارنا بالذي قدّرنا ربّنا عليه.

حدّثنا متى بدأتم الإعداد لمواجهة حصار الجيش الإسرائيلي للمخيّم إن كان في الاجتياح الأخير أو ما قبل الاجتياح. ما هي القوى المشاركة، وما هو عدد المقاتلين؟

في الحقيقة ليس هذا هو الاجتياح الوحيد الذي واجهناه وقد تستغرب بأن هذا العدد البسيط من المقاتلين هم الذين واجهوا هذه الآليات العسكرية في ستة اجتياحات، وكل اجتياح كنا فيه نقع بأخطاء. لكن بعد كل اجتياح كنا نجلس نحن الشباب المطاردين والذين تسلّموا المخيم بشكل رئيسي ونقيّم التجربة التي مررنا بها، ونبيّن لأنفسنا الخطأ أو الخلل الذي حصل عندنا كي نتجاوزه في المرات القادمة.

هل كانت جميع الفصائل تشارك بالتقييم، أم فصيلكم وحده؟

نحن في المخيم ألغينا الفصائل.. لم نلغها بشكل تام، بل يعني أصبحت هناك وحدة وطنية داخل المخيم، كل تنظيم ظلّ يقوم بعمليات استشهادية وعمليات عسكرية خارج المخيم كيفما يريد.. وهو حر بهذا الشأن وغير مقيّد معنا داخل المخيم.. الوحدة الوطنية داخل المخيم هي للدفاع عن المخيم .. كان هناك الإخوان المقاتلون والمسؤولون يقومون بدعم بعضهم البعض ليتم تصنيع العبوات، وأيضاً كنا نأتي بآليات لتحفر لنا الشوارع لغرض زرع الألغام.. يعني كان هناك تعاون ومشاركة بين أهل جنين وأهل المخيم.

أنت هنا تتحدث عن الحصار الأخير..

نعم عن الحصار الأخير..

أنت تحدثت عن استخلاصات وتجاوز أخطاء من الخمسة اجتياحات التي سبقت الاجتياح الأخير. اعطنا مثالاً على مثل هذه الاستخلاصات؟

مثلاً نحن لم نقدر بأن يأتي الجيش الإسرائيلي في الاجتياح الأول خط حيفا جنين، فهذا الخط يمر عبر المقاطعة.. وهي المقر العام لمحافظة جنين .. هذا الشارع لم يكن في حسابنا إطلاقاً لأننا كنا نتوقع أن يدخل الجيش علينا عن طريق "وادي برقين" ليدخل المخيم من عند مدرسة الوكالة ومن عند مستشفى جنين. لهذا كانت كل هذه الشوارع بالإضافة "للجابريات" مزروعة بعبوات ناسفة أرضية. لكنهم لم يدخلوا أي طريق من هذه الطرق. ودخلوا كما قلت من طريق حيفا وظلوا مكملين إلى المقاطعة واستمروا حتى مقر القوات الخاصة الفلسطينية للتدخل السريع .. طبعاً هذا كله ما كان في

الحسبان لأنهم وصلوا بسهولة رغم وجود قوى فلسطينية ومجمل عناصر الأمن والشرطة .. وأثناء ضرب وتدمير مقر القوة الخاصة، أذكر بأن الاخ محمود طوالبة تجاوز كل القرارات التي وضعتها القيادة المتواجدة في المخيم وهجم على الدبابة مباشرة، حيث مقر القوة الخاصة وكانت هناك مقاومة شديدة.

أي قيادة تقصد..هل هي قيادة وطنية؟

نعم قيادة وطنية .. تجاوز قرارها لأنه كان ممنوعاً عندنا الدخول للمقاطعة. وكمقاومة لم نكن معنيين بدخول أي مقاوم لهذه المقرّات، وكنا معتمدين أكثر على الأمن الوطني فيها، لأن الأمن الوطني يستطيع أن يغطي أمر الدفاع عن المقاطعة.

هل تذكر من هم المشاركون في القيادة الموحدة للمقاومة؟

كل الفصائل الفلسطينية شاركت، ومن أبرز القيادات التي تواجدت كانت من سرايا القدس وكتائب شهداء الاقصى وكتائب الشهيد عز الدين القسام. كلهم شاركوا بدون استثناء..لكن هناك قيادات كان لها خبرة في القتال وهي التي رسمت لنا الخطط، وبما أن بعض الأسماء غير معروفة للإسرائيليين من الخطأ ذكرها في هذه المرحلة. ومن القيادات والأسماء التي كانت لامعة أذكر –الله يرحمه –الأخ محمود طوالبة، والأخ طه الزبيدي من سرايا القدس، بالإضافة لدوري الذي قمت به إلى جانب هؤلاء الأخوة. ومن الذين يستحقون الفخر والاعتزاز بهم وأن يتقلدوا أوسمة الشرف هو الأخ أبو الجندل. طبعاً لهذا الأخ كان خبرة واستفدنا من خبرته، بحيث كنا نعتمد عليه اعتماداً كلياً، أي منطقة كانت تسلّم له كنا نعتمد عليه تماماً .. لأن اتصالنا معه كان فقط إذا كنا بحاجة للذخيرة.. حتى أننا في بعض الأحيان كنا نرسل له مقاتلين..لكنه كان يقول "لست بحاجة لمقاتلين بحاجة لذخيرة، أرسلوا ذخيرة فقط" .. وفعلاً كنا معتمدين عليه في الدفاع عن المنطقة الغربية للمخيم هو ومجموعته مع العلم أن العدو حاول أكثر من مرة أن يدخل علينا المخيم من خلال هذه المنطقة.

ممن تتألف مجموعة أبو الجندل؟

الجميع للأسف يعتقد خطأ أنهم من الأمن الوطني. لكن في اليوم الثالث للحصار جاء أبو الجندل ومعه بعض الإخوان منهم واحد لقبه "الضبع" جاءوا عندي على الحارة، حارة الحواشين التي تواجدت فيها. وكان معهم أيضاً واحد من كتائب شهداء الأقصى، وآخر من كتائب عز الدين القسام وهو محمود الحلوة. قالوا نحن لسنا من الأمن الوطني، وبالحرف الواحد قالوا لا يشرفنا ذلك لأن قيادتنا في الأمن الوطني أمرتنا بالانسحاب ولم توفر لنا الذخيرة. ونحن الآن أبناء التنظيمات وإذا أردتم استقبالنا بهذة الصفة فنحن ننتمي لفصائل مختلفة، وإذا لم ترغبوا أن تتقبلونا بهذه الصفة، فنحن أبناء هذا الشعب ونريد أن ندافع عن هذا المخيم لأننا أبناء هذا المخيم. قلنا لهم كل الاحترام لكم وسنضعكم تاجاً على رؤوسنا، وأي شيء ينقصكم نحن بأرواحنا سنفديكم وتمت المبايعة بيننا على أساس أنهم أبناء للفصائل .. وفعلاً بعد الاجتياح قسم منهم الله يرحمه استشهد وقسم تفاجئنا بهم أنهم تابعون لكتائب عز الدين القسام وكانوا مستمرين بالأمن الوطني.. والأمن الوطني كما قلت لم يتدخّل، بل بالعكس أسلحته والذخيرة هرّبها قبل الاجتياح إلى القرى المجاورة لمدينة جنين.

هل لنا أن نعود لما قبل الحصار .. عندما دخلوا رام الله..

ماشي .. بس أنا أريد أن أحدثك بأنه حصل خديعة قبل هذا الاجتياح، ونحن للأسف بعد ما اكتشفناه عممناه على مخيم بلاطة، لكن كان الامر متأخراً والإخوان المناضلون هناك كانوا قد أصبحوا خارج المخيم.. حيث أمرنا الإخوان بانسحاب كل المقاتلين من داخل مخيم جنين.

من هم الإخوان الذين أمروكم؟

أمرتنا كل القيادات السياسية.. قيادات بما فيها سرايا القدس- الجهاد الإسلامي، وحركة حماس، وحركة فتح.. اتصلوا بنا الساعة الحادية عشرة.. أو استمرت الاتصالات من العاشرة حتى الحادية عشرة كي ننسحب من المخيم...

من هي القيادات السياسية؟ إذا ممكن أذكرها بالاسم.

القيادات السياسية هي.. عطا أبو رميلة.. الشيخ جمال والشيخ بسام حيث أمرونا بالانسحاب وفق ما اتفق عليه بين الحركات الوطنية.. طبعاً هؤلاء ليس لهم أي علاقة بالعمل العسكري ولا عندهم أي خبرة في هذا المجال. لكن كانوا متفقين مع بعض على أن ننسحب نحن كمقاومين، وفعلاً تم الانسحاب لكل المقاتلين من مخيم جنين.

متى حصل ذلك وفي أي تاريخ؟

هذا لم يحصل في الاجتياح الأخير، وإنما في الاجتياح قبل الأخير.. والله أعلم بأنه في شهر ٣. للأسف الشديد انسحبوا وانسحبنا جميعاً كمقاتلين من المخيم، ولما وصلنا مدينة جنين وجدنا الأمن الوقائي يجمعنا ويضعنا في أماكن حددوها، وأنا من الذين وضعوا في بيت قريب من مستوطنة "جديم" وهذه المستوطنة كانت قريبة، بحيث يمكنهم إطلاق النار علينا وإصابتنا برصاص M16 ونحن داخل البيت. فأدركنا بأن هناك خديعة وأدركنا بأنه قد تكون هناك لعبة سياسية أيضاً، بحيث يدخل الجيش الإسرائيلي للمخيم ويسجل موقفاً بأنه دخل مخيم جنين وفتشه كاملاً لكننا وعندما أدركنا كل ذلك اتصلنا بالإخوان من المقاومين والعسكريين وقلنا لهم عليكم التوجه جميعاً للمخيم وعاد الجميع من كل الفصائل، وظل المد حتى الساعة الثالثة صباحاً وفي هذه الأثناء كان الجيش الإسرائيلي يتقدم من الساحة عند الجامع حتى يدخل داخل المخيم، إلا أنهم لم يستطيعوا الدخول حيث عاد جميع المقاتلين. هذا الامر الذي حصل عندنا في مخيم جنين حصل في مخيم بلاطة حيث خرج شباب مخيم بلاطة ودخل الجيش الإسرائيلي وفتش المخيم بيت بيت، ولو أننا لم نعد للمخيم في جنين لفعلوا نفس الشيء وهذه كانت من ضمن الأخطاء التي تعلمناها قبل الاجتياح الأخير.. وقد حاولوا أن يكرّروا الأمر في الاجتياح الأخير.. وكانت وشوشة بين جهازين أمنيين فلسطينيين مع بعض المقاتلين من كتائب شهداء الأقصى لإقناعهم بالانسحاب، وعلى أساس أن لهم أماكن إقامة آمنة، إلا أن هذه القيادات من الكتائب التي هي قيادات وطنية وشريفة رفضت ذلك، وأصرت على البقاء في المخيم

والدفاع عنه، وفعلاً منهم من استشهد ومنهم من اعتقل. عموماً الخطأ الذي حدث في مخيم جنين في الاجتياح الذي قبل الأخير لم نكرره، بل وتعلّمنا دروساً أخرى استفدنا منها مثلاً من الجيش الإسرائيلي وهي أن لا نتنقل في الشوارع والحارات، بل قمنا بفتح ثغرات بين البيوت وتنقّلنا عبرها. وفي الاجتياح الأخير كنا نكمن للجيش داخل البيوت وفي هذه الثغرات كي نفاجئهم، وقد حصل ذلك وتمكنا من السيطرة الجيدة في البداية على كل مناطق المخيم.

عندما طلب منكم الانسحاب من المخيم في الاجتياح قبل الأخير ماذا فعلتم بسلاحكم، هل أخذ منكم؟

سلاحنا بقي معنا ولا يمكن أن نسلّمه لأحد، وعندما عدنا أعدناه معنا للمخيم. بالطبع العبوات الأرضية ظلّت مزروعة بالأرض، حيث لا يمكن تفجيرها الا عبر الإخوان بواسطة البطاريات. وبعودتنا تفقدناها وكان الشباب جاهزين وكافيين حتى إذا تقدم الجيش يتم تفجيرها.

قبل الاجتياح قبل الأخير أي الاجتياح الخامس، وقبل اغتيال الشهيد رائد الكرمي من كتائب شهداء الأقصى وجهتم رسالة للأخ أبو عمار وقعت عليها قوى المقاومة ..حدثنا ماذا جرى بالضبط وما الذي احتوته هذه الرسالة..

صحيح أنا شخصياً كتبت هذه الرسالة بخط يدي وما حصل هو التالي.. كان هناك وفد أوروبي ينوي زيارة أبو عمار في المقاطعة في رام الله وطلبوا منه وقف إطلاق النار.. وقد وجهت لنا القيادة الفلسطينية رسالة ان نوقف نحن المقاتلين العمليات العسكرية، سواء كانت في أراضي ٤٨ أو في أراضي ٦٧.. وأدخلونا في وضع حرج واتهمونا بأننا لسنا حريصين على مصلحة الشعب الفلسطيني.. وقد قلنا لهم بأننا على العكس تماماً وأننا أكثر الناس حرصاً على مصلحة الشعب الفلسطيني، وكي نثبت لكم ذلك نحن مستعدون بكل ما تأمروننا به.. قالوا عليكم أن توقفوا إطلاق النار.. قلنا لهم ماشي.. وقالوا سوف تعتقلوا فوافقنا وقد تم الأمر على النحو التالي. بعثنا بكتاب رسمي للأخ أبو عمار بأننا نحن مع سيادتكم ومع وقف إطلاق النار لحل

المشكلة. وقد أرسلت هذه الرسالة وموجود منها نسخة عند الأمن الوطني في مقر محافظة جنين.. وقد جاء الرد عليها بان نلتزم عند الأمن الوطني "كضيوف" وافقنا على هذا الكلام كنت أنا ومعي اثنان من الإخوان واحد اسمه مجدي أبو الوفا وآخر اسمه محمد الديك وهو رائد في الأمن الوطني.. اعتقلونا ووضعونا في شقة في الحارة الشرقية من مدينة جنين والتزمنا بما اتفق عليه. وتفاجأنا ذات يوم وإذا بالجيش الإسرائيلي يطوّق المكان الذي تواجدنا به. وهو عبارة عن شقة مستأجرة من قبل الأمن الوطني. وقد وقف الجيران على السطوح وقالوا لنا ها هو الجيب الإسرائيلي تحتكم على بعد ٢٠ متراً. ولا أخفي عليك كنا آخذين احتياطاتنا ومعنا أجهزة اتصال وسلاح..اتصلنا مع الإخوان في المخيم فأتوا فوراً واشتبكوا مع الجيش الإسرائيلي على أثرها استشهد شاب مواطن كان يسوق تراكتور يجر خزان ماء فقصفته الطائرة واستشهد مباشرة، وقد خرج فايز عرفات القائد العام لمنطقة جنين برتبة عميد وكان مسؤولاً عن التنسيق الأمني لإجراء لقاء بنفس اليوم مع الإسرائيليين في مستوطنة "جديم"، وهذا بشهادة ثلاثة مسلحين مطالبين بتسليم أنفسهم والمقصود أنا ومجدي أبو الوفا ومحمد الديك ونحن في هذه الأثناء كنا قد غادرنا مدينة جنين، وتركنا البيت الذي وضعونا به. على كل حال، أذكر أنه على ضوء الخرق الإسرائيلي لوقف إطلاق النار كان ياسر عطيلة[1] ومعه صحفي أجنبي آخر اجروا معي لقاء وقد وضحت بأن إسرائيل هي المسؤولة من الآن وصاعداً عن هذا الخرق، فوجهوا إليّ سؤالاً في نفس المقابلة إذا كنا ما زلنا ملتزمين بوقف إطلاق النار، وقد كان جوابي بأنه لا وقف لإطلاق النار بعد الآن..

وماذا بخصوص الرسالة التي تحدثت عنها؟

لقد بعثت لنا القيادة الفلسطينية برسالة أكدت لنا فيها على ضرورة وقف إطلاق النار، وعلى ضوء ذلك عقدنا اجتماعاً مع الأخوة في حركة فتح وحماس وخرجنا منه متفقين على أننا سوف نستهدف بعملياتنا كمائن إطلاق نار أو عبوات مواقع عسكرية تابعة للجيش فقط، وهذا ينطبق أيضاً على العمليات الاستشهادية أيضاً، وقمت أنا بنقل الرسالة للرئيس عرفات،

---

١ مراسل راديو إسرائيل الناطق بالعربية.

وتضمنت رفضاً لوقف إطلاق النار وتقديم مقترحنا آنف الذكر بأننا على استعداد بأن تكون المعركة بين المقاتل الفلسطيني والجندي الإسرائيلي، وأن يقوم الرئيس بنقلها إلى المبعوث الامريكي، زيني الذي تواجد في المنطقة تلك الفترة.

من قام بالتوقيع على هذه الرسالة التي تم توجيهها للرئيس عرفات؟

لقد وقعت أنا شخصياً باسم سرايا القدس التابعة لحركة الجهاد الاسلامي وكذلك حركة حماس التي وافقت مبدئياً على ذلك، بالإضافة إلى حركة فتح، وبعد ذلك بفترة قصيرة جاء الرد الإسرائيلي باغتيال رائد الكرمي في مدينة طولكرم.

هل وقف إطلاق النار الذي تضمنته الرسالة يتضمن أيضاً وقف العمليات الاستشهادية؟

لا لم نتحدث عن وقف العمليات الاستشهادية، وإنما عن تغيير في الأهداف، بمعنى أن نستهدف فقط قوات الجيش، معسكرات، جنود دوريات.. الخ، ووقفنا ضد أي هدف غير عسكري. مع تسجيلي هنا أنه بقناعتي أن غالبية المجتمع الإسرائيلي عسكري، لكنهم قتلوا في حينه خمسة أطفال من خان يونس طلاب مدرسة.

هذه الأحداث مجتمعة سبقت عملية اغتيال رائد الكرمي؟

نعم، ونحن على أثر ذلك قمنا بعملية استشهادية مشتركة مع الأخوة في كتائب شهداء الاقصى في قلب مدينة العفولة، وقد نفذها الشهيد عبد الكريم أبو نعسة والشهيد مصطفى أبو سرية رداً على استشهاد الأطفال الخمسة.

هل كانت هناك أوامر من قبل القيادة الفلسطينية لقوات الأمن بالاشتراك بالدفاع عن المخيم وفق الرواية التي انتشرت في حينها إم هناك رواية أخرى..أخبرنا بحقيقة ما حصل وبالتفصيل إذا أمكن؟

في الحقيقة لا أعلم بأي أوامر أو قرار من قبل القيادة الفلسطينية لقوات الأمن بالمشاركة في الدفاع عن المخيم. وأذكر هنا أن ضابطاً في القوة ١٧[٢]

---

٢ أخذنا أن نحتفظ باسم الجهاز وعدم نشر اسماء الضباط المذكورين تجنباً لإشكال قضائي، ولأننا لا نرغب في الخوض في نقاشات شخصية الطابع، **مواطن**.

كان يحضر إلى المخيم ويتحدث مع الشباب ويسأل عن الاحتياجات التي تنقصنا. وقد كنا نقول له إننا بحاجة للرصاص والمخازن ونريد كمية منها، وكان يسمع ذلك ويذهب ويعود بعد فترة ليسأل نفس السؤال. وفي آخر مرة أكدنا له على أننا نريد الرصاص.. وللعلم كنا نطلب الرصاص للمقاومين من الأمن الوطني وليس لأنفسنا، حيث أن أغلب مقاتلي التنظيمات يحملون بنادق من طراز M16، بينما الأمن الوطني مسلح "بكلاشنات"، وهذا رصاصه متوفر لدى أجهزة السلطة فقط. طبعاً هذا الحدث كان قبل الاجتياح الأخير بيوم واحد. وبعد ذلك عندما علمنا أن الجيش الإسرائيلي سيقوم بالاقتحام قمنا بالاتصال معه لكنه كان مقفلاً كل هواتفه، وبعد ذلك بيومين كانت المفاجأة، حيث اكتشفنا أن هذا الضابط وضابط آخر يقومون بتحميل الأسلحة لنقلها إلى قرية "صير" الواقعة في محافظة جنين. وقد دفعنا هذا الحدث للذهاب إلى المقر العام وتوجهنا إلى المخازن فلم نجد سوى صندوقين من الرصاص استولينا عليهما بالقوة، بينما باقي الذخيرة والأسلحة تم تهريبها من أجل إعادتها بعد الاجتياح، وبتقديري الشخصي أن هذا السلاح سيعود بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي لاستخدامه ضد أبناء شعبنا.

هذا يعني أنه لم تكن هناك أوامر؟

نعم، لم تكن هناك أوامر، وذلك بدليل أن الأخ الشهيد أبو الجندل رحمه الله قد تلقى مكالمة هاتفية من قائد المنطقة ابلغه فيها بأن عليه الانسحاب فوراً من مخيم جنين هو ومجموعته، فكان رد أبو الجندل بالرفض وأنهى المكالمة وقام بكسر الجهاز الخلوي بعدها مباشرة.

لقد ذكرت أنه كان بحوزتكم أسلحة وذخيرة وقبل الحصار استوليتم على جزء آخر من الذخيرة. لكن كيف تدبرتم أمركم أثناء الحصار بخصوص نقص الذخيرة والغذاء والماء؟

في البداية أود الإشارة إلى أن امكانياتنا كانت متواضعة وهي عبارة عن بنادق وعبوات ناسفة مصنعة محلياً، وهي عبارة عن ماسورة صغيرة "إنش أو إنش ونصف". والبنادق عبارة عن بندقيتين "جليلي" وعدد من البنادق من طراز M16، وكذلك عدد من بنادق "كلاشنكوف" بالإضافة إلى قطعة واحدة

R.P.G، ومعها ثلاث قذائف لا غير. أما بخصوص الذخيرة، فقد كان مع كل مقاتل عشرة مخازن تقريباً، وقد اعتمدنا على العبوات بكثرة هذا بالإضافة إلى اننا كنا قد زرعنا عبوات ناسفة بالأرض، ولا أخفي عليك أننا كنا قد وضعنا بعض الذخيرة في بيوت سرية لحالات الطوارئ وقد استخدمناها في السياق، وأضف إلى ذلك أننا استطعنا أن نستولي على سلاح وذخيرة من الجنود الذين تم قتلهم في الاشتباكات، وعندما قمنا بتسليم أنفسنا كان لدينا ذخيرة كافية لأسبوع آخر.

ما هي اللحظة التي اعتمدتموها في المواجهة أثناء الاجتياح .. وهل حصل أي خلل في سياق ذلك؟

أود أن أشير في البداية إلى اننا كنا قد تصدينا لاجتياح المخيم بعد عيد الأضحى بأيام وقد استطعنا صد الهجوم في حينه، وبين هذا الاجتياح والاجتياح الأخير يفصلهم خمسة عشر يوماً، حيث عملنا في هذه الأيام الخمسة عشر على أساس المناوبة .. مجموعة تستبدل الأخرى بالعمل لتجهيز عبوات ناسفة واحتياطات أخرى، وقد داهمنا الوقت ولم نأخذ الفترة الكافية لتجهيز أمورنا بشكل مناسب، وقد قررنا في حينه عدم تسليم أي إنسان عبوات ناسفة إلا في اللحظة التي نتأكد بها من أن القوات الإسرائيلية قد بدأت بالتحرك باتجاه جنين. وفعلاً في اللحظة التي شعرنا بها أن الجيش بدأ تحركه باتجاه جنين قمنا بتوزيع العبوات، وقد كان هناك نقص، وقد أنجزنا خلال ذلك زرع الألغام بجميع شوارع مخيم جنين، وقد كانت عبوات متفاوتة الأحجام والأشكال، فجزء منها كانت أرضية نستخدمها ضد الدبابات وتعمل على زنبرك والباقي عبوات جانبية، وقد زرعت على جميع طرق المخيم .. شارع مدرسة الوكالة، وشارع مستشفى جنين ومناطق أخرى ما عدا الحارة الغربية حيث تخوفنا من أن يلحق تفجيرها ضرراً بالسكان نظراً لضيق الممرات والكثافة السكانية.

هل الحقت العبوات خسائر مادية أو بشرية بالجيش الإسرائيلي ومعداته؟

نحن نتحدث عن عبوات من إنتاج محلي، وكما يقولون "العيار الذي لا

يصيب بِدوِش".[٣] وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه العبوات عندما كانت تصيب هدفها كانت تلحق ضرراً وفعلاً فقد استطعنا عطب أكثر من دبابة، فعلى سبيل المثال استطعنا في شارع المدارس تعطيل دبابة، ما أدى إلى إحراقها ووقف الحركة لآليات أخرى لعدة ساعات حتى تم سحبها. وقد رفع لنا هذا الحدث معنوياتنا بالإضافة لاستغلالنا عامل الزمن بتأخيرهم. وطبعاً عندما اكتشف الجيش أن تقدمه بطيء داخل المخيم، وأن هناك خسائر قام بسحب جميع الدبابات وأحضر كاسحة ألغام قامت بتفجير جميع العبوات الناسفة المزروعة في شارع المستشفى، وكذلك شارع المدارس، وعندها انتقل تركيزنا على العبوات الجانبية والقتال المباشر بعد أن سيطر الجيش على بعض الشوارع ونحن التزمنا الاستحكامات.

خلال الحصار .. كيف كنتم تستطيعون تأمين الدواء للجرحى والغذاء للمقاتلين؟

لقد ظهر علينا نقص بالطعام بعد اليوم التاسع، أي بعد خروج الأهالي من المخيم حيث أننا لم نواجه أي إشكالية أثناء وجودهم، فقد كانوا يمدوننا بالماء والغذاء بشكل مستمر، بعد اليوم التاسع أصبحنا نعتمد تجميع أباريق ماء ووضعها في البيوت التي نمر بها حتى يستطيع المقاتلون أن يشربوا، وهكذا استطعنا تجاوز إشكالية وجود الماء، وبخصوص الغذاء لم يكن هناك شهية لأحد من المقاتلين، حيث كان اهتمامنا الرئيسي هو النصر أو الشهادة. وأثناء تنقلنا في المخيم، وجدنا كمية من التمر وقمنا بتوزيعها على المقاتلين حيث أصبحت هي الغذاء اليومي. وأود أن أذكر هنا دور أم مروان الوشاحي.."مريم الوشاحي" خمسين عاماً .. التي كانت تحضر لنا الطعام بشكل مستمر حتى بعد أن شاهدت جثة ابنها وهي مغطاة، وعلى الرغم من ذلك استمرت بإحضار الطعام حتى أطلق عليها الجنود النار وهي تحمل على رأسها الطعام وقد استشهدت وهناك شهود عيان على أن الجيش أطلق النار باتجاهها وهو مدرك أنها امرأة.

---

٣ بالعامية يزعج السمع.

في أي تاريخ استشهدت أم مروان؟

في اليوم السابع أو الثامن للاجتياح.

هناك مآثر كنت قد تحدثت عنها سابقاً على غرار أم مروان الوشاحي هل لك أن تخبرنا عنها؟

أذكر هنا أحد الأشبال ويدعى أسامة السعدي كان بحوزته عبوة (كوع)[٤] قام باستعمالها تمهيداً لإلقائها باتجاه دبابة كانت تمر في الشارع، وفي تلك الأثناء وبعد أن أشعل الكوع اتضح له بأن صديقه يركض أمام الدبابة، فصرخ عليه صديقه أن يلقي الكوع لكنه رفض ذلك وانفجر الكوع بيده، ما أدى لبترها. لقد كنا نطلق على هؤلاء الأشبال "أشبال الأكواع" على اعتبار أنهم قاموا بالكثير من الهجمات الجريئة ضد دبابات العدو أثناء الاجتياح. وأذكر هنا محمد الخطيب عندما ذهب لاستطلاع الطريق فأطلق أحد القناصة النار عليه فأصابه بكتفه، وعلى الفور انبطح على الأرض وبدأ بالزحف وعاد إلينا، وقال أنا مصاب إذا سمحتم عالجوني. وقد بقي هذا الشبل معنا وخرج معنا في آخر يوم عندما قمنا بتسليم أنفسنا. طبعاً هناك أشبال آخرين أذكر أسماء، أو بالأصح ألقاب جزء منهم مثل شبل كنا نسميه "البعوضة" وهو ابن ابو الراكز وكان هذا الشبل ابن ١٢ عاماً قد أصيب في الاجتياح ورفض تسليم نفسه وقمنا بتعليمه على استخدام المسدس وأعطيناه مسدساً بقي معه وفرح به كثيراً وخرج هو الآخر معنا يوم التسليم.

ما رأيك بالمقارنات بين حزب الله والمقاومة في الأراضي المحتلة؟

في الحقيقة نحن لا نقارن بحزب الله لأن حزب الله له امتداد دولي وطرق مفتوحة بينما نحن كشعب فلسطين لنا حرية محدودة بالتحرك بأسلحتنا في مناطق (أ).. ولا يتم لنا السماح بإحضار سلاح من الخارج، وحتى لو استطعنا الحصول على قطعة سلاح، ستجد السلطة الفلسطينية تطاردنا لمصادرتها. لذلك من الصعب جداً أن نقارن أنفسنا بحزب الله .. لكن لدينا مجموعة إمكانيات بسيطة نستطيع أن نقاوم بها الاحتلال وتبقى ضعيفة

٤ المقصود كوع ماسورة يعبأ بالمتفجرات.

مثلاً أمام الطيران فنحن لا نستطيع مواجهة الطيران، حيث لا نملك مضادات أرضية، فجل اعتمادنا على العبوات بمواجهة الدبابات والآليات العسكرية الأخرى، بالإضافة إلى قدرتنا على التحرك في الأزقة الصغيرة في المخيم، بينما الجندي الإسرائيلي يبقى داخل الدبابة، ونأمل، أو كنا نأمل، أن تسمح لنا السلطة بإحضار السلاح أو على الأقل أن تتغاضى عنا وأن لا تلاحقنا.

حدّثنا عن استشهاد محمود طوالبة .. كيف حدث ذلك؟ وفي أي يوم من الاجتياح استشهد؟ وأين كنت عندما حصل ذلك؟

الأخ محمود عليه رحمة الله أخ مجاهد، ومهما تحدثنا عنه لن نوفيه حقه. فقد كان ضمن الخطة مسؤولاً عن المنطقة الجنوبية للمخيم ومعه كل من الأخوة عيد فرج، وأشرف أبو الهيجاء وسليم السعدي، وجميعهم استشهدوا، ومحمود كان توّاقاً للشهادة. عندما دخل الجيش للمنطقة الغربية ترك محمود موقعه وأصر أن يواجه الجيش، وفعلاً تمت المواجهة بينه وبين الجنود، واستطاع أن يحاصر ثلاثة جنود ببناية في المنطقة الغربية قرب بيت "أبو عيطة" وبدأ الاشتباك معهم فلم يستطع الجنود الخروج من البيت، وكذلك الشبان كان صعباً عليهم الدخول للبناية. تسلّل أحد الإخوان بناءً على توجيه محمود ومعه صفيحة مليئة بالوقود، وأمره بأن يحرق البيت جميعه بمن فيه من جنود. واستمر الشباب يطلقون النار، وعندما فقد الجيش الأمل، بدأ بقصف البيت والشباب بالصواريخ. عندها انسحب محمود وعاد لموقعه وانتظر يومين، أثناء ذلك كان الجيش يقتحم من المنطقتين الغربية والشرقية، حيث كان أكثر الضغط من هذه المناطق على اعتبار أنها مناطق مفتوحة. وقد فشل العدو بالدخول من شارع المستشفى، فقام الأخ محمود وذهب إلى حارة الدمج واشتبك معهم ليلة كاملة، استشهد فيها الأخ زياد الزبيدي وانسحب الجيش من هناك، وتقديري أن عدد قتلى الجيش الإسرائيلي هنا لا يقل عن سبعة جنود، وبعد انسحاب الجيش دخلت الجرافات عليه في حارة الدمج، وهدمت جميع بيوت الحارة، أثناء ذلك اتصل بي محمود واخبرني بما حدث، وقال لي إن الجرافات قريبة مني، حيث كنت أتواجد في حارة الحواشين .. نحن لم نصدق أنهم أقدموا على تدمير حارة الدمج، فذهبنا وشاهدنا أن حارة الدمج أصبحت عبارة عن ملعب لكرة القدم .. على أثر

ذلك، تم تشكيل المجموعات من جديد، ومنعنا أي مقاتل من تغيير الموقع الذي يتم وضعه فيه .. وقد بدأ الجيش بمحاولة دخول المنطقة الجنوبية. وقد بدأوا بمحاولة الدخول في البداية بفرقة مشاة، وكان هناك اشتباك عنيف، أثناء ذلك أصيب الأخ إياد تحسين. ووصل لطرفنا أحد الأخوة وطلب عبوات ومقاومين أيضاً من أجل تغطية المنطقة، وبالفعل تم تزويده باللازم، وأثناء عودة الأخ تم قصف البيت المتواجد فيه محمود طوالبة وأخوة آخرين بأربع قذائف (أنارجي)، فاستشهد محمود وعبد فرج وأشرف أبو الهيجا. كان ذلك في اليوم السابع للحصار ٤/٦ أو ٤/٧. طبعاً كان استشهاد محمود والأخوة صدمة لنا، بعد استشهادهم سيطر الجيش على المنطقة الجنوبية، وأصبح من السهل على العدو النزول إلى وسط المخيم، وقد تم توزيع المناضلين على مشارف هذه المنطقة، وتم التركيز عليها على اعتبار أن دخول الجيش لمسافة ١٥ متراً فقط يعني السيطرة على جميع المخيم. وفعلاً حاول الجيش الدخول حتى وصل إلى جانب بيت يحيى الزبيدي (معتقل)، وقد حاول الجيش تخطي هذا البيت، فلم يستطع، فبدأت الطائرات بقصف المواقع التي يتواجد بها المقاومون، بحكم كون هذه المواقع عبارة عن أزقة صغيرة، لم تكن هناك إصابة مباشرة لأي من المقاومين. هناك بيوت دمرت حيث بقي الجيش ليلة كاملة يقصف تلك المنطقة، لم يستطع الشباب طبعاً الخروج، وأثناء ذلك قدمت الجرافات وبدأت بجرف البيوت فأصبحنا عند ذلك مطوقين باستثناء حارات محددة.

هل غادر أهالي المخيم في هذه المرحلة؟

نحن في تلك الفترة كنا رافضين أن يقوم أي من الأهالي بتسليم نفسه. وقد كان الجيش يعلن للأهالي عبر مكبرات الصوت التي تم تثبيتها على الدبابات أن عليهم تسليم انفسهم وأثناء ذلك بدأت الطائرات بالقصف العشوائي دون تمييز بين الأهداف إذا كان من الأهالي مدنياً أو من المقاتلين. وعلى أثر ذلك، قمنا بالتسهيل على الأهالي من أجل الخروج، وفعلاً بدأ الأهالي بذلك. ونحن بقينا متواجدين في ثلاث حارات كانت خالية من السكان. وأذكر هنا أن هناك شخصاً يدعى ماجد البدوي أظن أنه الوحيد الذي رفض الخروج، وقال إنه يريد أن يبقى مع أسرته في المخيم لمساعدتنا، حيث أن بيته كان

يبعد عن موقع قناصة الجيش عشرين متراً تقريباً، وقد كان هو يقدم لنا المساعدة من خلال تزويدنا بالماء والمعلومات عن حركة الجيش في المنطقة. لقد كنا نتحرك بالنهار، حيث أننا بالليل لم نكن نملك الإمكانية للتحرك بسبب قدرة الجيش على رصدنا بالمعدات المتطورة لديه. وقد اكتشف الجيش مواقعنا وبدأ القناصة بإطلاق النار علينا، وقد أصيب الشيخ رياض بدير "ابو العبد"، وكانت إصابته بالساق، والشيخ رياض من طولكرم الذي قدم للمشاركة بالدفاع عن مخيم جنين .. طبعاً شعرنا بالخطر وأنه تم كشفنا. على ضوء ذلك، طلبنا من الأسرة التي تحدثت عنها أن يقوموا بتسليم انفسهم، وقد تم ذلك وبعد ربع ساعة من خروج الاسرة تم ضرب البيت بالصواريخ، أثناء القصف كنا نحن في البيت المجاور فقمنا على الفور وتجمعنا في غرفة واحدة للأمان. بعد ذلك بقليل أوقفت طائرات "الاباتشي" قصفها فشعرنا أن هناك تقدماً باتجاهنا من جنود مشاة، فقد تعلمنا أثناء الحصار عندما تتوقف الطائرات عن القصف يكون هناك تقدم من جنود المشاة .. وشرعنا بالمراقبة الجيدة وأثناء ذلك تقدمت جرافة من مركز المخيم باتجاهنا، ودخلت إلى بيت أم محمد أبو سرية وتقدمت باتجاه حارة الزبيدي وقد فجرنا بها عبوة فلم تتأثر منها، وحاول أحد الأخوة حرقها من خلال الوقوف على سطح أحد المنازل وسكب بنزيناً عليها وإشعال النار لكن دون جدوى ولم تتأثر. واستمرينا أثناء ذلك في التمركز في بيت طلال رويحة على الشرفة المطلة على موقع القناصة الذي اكتشفنا، ولكننا لم نستطع أن نحدد أين هو بالضبط .. وعند ذلك تفاجئنا بأربعة جنود ببيت "الناشرتي"، وفيما بعد علمنا بأن أحد الأخوة كان معهم كأسير ويدعى "محمد أبو سرية" وهذا الشاب رافقه أربعة جنود، وقد علمنا منه لاحقاً أنهم -أي الجنود -دخلوا على معمل "الراغب"، ومن هناك فتحوا بالحائط فتحة في بيت "الشلبي" إلى بيت "أبو علي عويص" وإلى بيت "النشري" وصعدوا على سطح البناية الأخيرة، وخلال ذلك كنا نحن متمركزين وراء أعمدة باطون موجودة على شرفة المنزل، ولم يستطع الجنود أن يرونا، وبمجرد أن ظهروا قام كل مقاتل بإطلاق النار على جندي من الجنود الاربعة. وقد قتلوا بعد أن هرب الشاب الذي كان اسيراً معهم والذي استخدموه درعاً بشرياً، وأكد لنا أن الجنود الأربعة قد قتلوا. وقد بدأ الشباب بالتكبير، ونزلنا لبيت الدرج، وبعد

ساعة بدأت الجرافات بالتقدم، وأثناء ذلك فجرنا دبابة كانت ترافقها، وقد استطعنا إعطابها. وعلى أثر ذلك جاءت الطائرات وبدأت بقصف منزل أبو سرية ومنازل أخرى، وبعدها تقدمت الجرافات واستطاعت ان تفجر العبوات المزروعة. وقامت بهدم نصف المنزل الذي كنا فيه، ومن ثم تمركز القناصة وركزوا على المنزل ومنازل قريبة، وحاولنا إطلاق النار عليهم، لكننا لم نستطع أن نحدد وجودهم بالضبط.

تحدثت عن وضع خطط للمواجهة داخل المخيم سؤالي هو ما اكثر اجراء فاجأكم به الجيش الإسرائيلي في حسابكم؟

لقد توقعنا كل شيء إلا أن يتم نسف مخيم جنين نهائياً، لم يكن ذلك بالحسبان وإذا حصل توقعنا أن يكون هناك موقف عربي أصيل من قبل جماهير أمتنا حيث أننا نعتبر أنفسنا جزءاً من هذه الأمة العربية وهذا رأي غالبية أهالي مخيم جنين، لكن للأسف هدم المخيم ولم تتحرك الأمة، وبخصوص توقعنا، كنا نتوقع معارك عادية كالاجتياح السابق، وإذا كان هناك اختلاف فيتلخص بأن يتم قصف المخيم بصواريخ من طائرات حربية. لكن لم نتوقع دخول الجرافة (أطلقنا عليها اسم الغول) إلى المخيم، حيث كانت تضرب بكف الجرافة أحد أعمدة البيت فيكون ذلك كافياً لانهياره، ولم تؤثر بها العبوات ولا حتى قذيفة ار بي جي أطلقها الأخ أبو الجندل وأذكر هنا أن سقف بيت سقط على الجرافة ولم يحدث لها شيء يذكر، وقد بدأنا ننسحب من بيت لبيت حيث أن بقاءنا في موقع واحد كان يعني أنه سيتم دفننا أحياء.

بخصوص الجرافات: في أي يوم استخدم الجيش الجرافات؟ وكم كان عددها؟

لقد تم استخدام الجرافة في اليوم السابع للاجتياح، حيث استخدمت في حارة الدمج، وقد احضروها بعد أن واجهوا مقاومة شرسة هناك، حيث أن تلك الحارة تتميز بضيق الأزقة. وقد أقدمت الجرافة على هدم تلك المنطقة، واستشهد عدد من المقاومين هناك، وانسحب الآخرون، ونجحت الجرافة وبدأوا باستخدامها في الحارات الأخرى، حيث تقدمت جرافة من حارة الدمج لحارة الحواشين وأخرى من ساحة المخيم. أنا شاهدت أربع جرافات

عندما تم حصارنا في اليوم التاسع تتقدم باتجاهنا من جميع المواقع، وبعد خروجنا رأيت أكثر من عشر جرافات بأحجام مختلفة.

ننتقل إلى استشهاد أبو الجندل: ما اسمه الحقيقي؟

اسمه الكامل يوسف محمد أبو الجندل، وعائلته هي كبها، وهذا على ما اعتقد اسمه الكامل، حيث أننا لم نكن معنيين أن تعرف أسماء الشباب جميعاً، حيث كنا نهتم بمعرفة اللقب فقط.

حدثنا عن استشهاد أبو الجندل، حيث أن هناك رواية تقول أنه تمت تصفيته بعد إلقاء القبض عليه؟

كل الاحترام والتقدير للشهيد أبو الجندل الذي يستحق كل أوسمة الشرف، فهذا المقاتل الذي لم يفوت مواجهة مع الجيش إلا وكان فيها، فعلاً كان كالطير في المخيم تراه في كل مكان يحلق يقاوم. أذكر مرة أني طلبت منه أن يحضر إلى الموقع الذي كنت أنا فيه وخلال ثوانٍ كان عندي ومع قاذفة آر. بي. جي. أبو الجندل كان في لبنان، وخاض دورات عسكرية كثيرة، وكان من المشاركين بهبة النفق قبل عدة سنوات (أيلول ١٩٩٦)، أذكر أن أبو الجندل أصاب مرة أحد ضباط الاحتلال على الطريق الالتفافي حول جنين، وبعد ذلك سمعنا أن قيادة منطقة جنين تريد تخفيض رتبته وتم نقله إلى منطقة اسمها الهاشمية قضاء جنين، وأود أن أشير هنا أن منطقة الهاشمية هي منطقة تماس مباشر مع العدو، في لحظة يتم اقتحامها من القوات الخاصة، لكن أبو الجندل رجل ذكي وحريص، حيث كان حذراً جداً وهو على الحاجز الذي يتم وضعه عليه وعندما جاءت المعركة الأخيرة جاء إلى المخيم وبعد أن جاءه أمر بالخروج من المخيم (كما ذكرت هذا الحدث سابقاً) عاهدنا أنه مقاتل وطني حر شريف سيدافع عن الوطن حتى آخر قطرة.

بعد مقتل ١٣ جندياً تعرضنا إلى ضغط عالٍ، حيث تكثف القصف علينا من قبل الطائرات والدبابات، وكانت هناك دبابة في منطقة الجابريات تطلق الصواريخ علينا إضافة للطائرات. بعض الأخوة (وهذا باليوم التاسع) تضايقوا وقاموا بتسليم أنفسهم، وبقيت مجموعتان في المخيم (وقد سيطر

علينا شعور بأن هذه المعركة فاصلة إما أن نكون أو لا نكون) واحدة بقرب بيت طلال رويحة وأخرى بحارة أبو السباع، أثناء ذلك جاء أحد المقاتلين من المجموعة الأخرى وقال لي إن معنويات الشباب تنهار (أثناء ذلك كانت عدة إشاعات انتشرت منها أني قمت بتسليم نفسي وأخرى أنه قد استشهدت وغيرها الكثير عن عدد من المقاتلين) أخبرت المجموعة التي معي أني سوف أعود بعد قليل وتوجهت مع المقاتل. ذهبت أنا وأشرف السعدي ومحمود أبو السعيد ذهبنا وقرعنا باب المنزل، فلم يجب أحد، فقمنا بخلع الباب فاكتشفنا أن الشباب في البيت المجاور، فتسللنا عبر فتحة بالجدار. استقبلنا الأخ أبو الجندل وعندما رأيناه وضع يده على فمي فعرفت أن هناك جيشاً بالجوار. كان مع أبو الجندل أيضاً محمود الحلوة ومقاتل آخر لقبه الضبع وآخرين، عرفت أن غرفة واحدة تفصل بيننا وبين الجيش. وأخبرني الأخوة أنهم قد قرأوا الفاتحة على أرواحهم وأنهم نصبوا كميناً للجيش، فقلت لهم لماذا ننتظر ولا نذهب نحن لهم، فقالوا أن الجيش سوف يقوم كما هو المعتاد بفتح ثغرة بالجدار والدخول وعندها ننقض عليهم، وفعلاً بقينا عندهم حيث نام جزء وبقي الجزء الآخر مستيقظاً. الساعة الثالثة تقريباً رأيت أبو الجندل ومعه ثلاثة مقاتلين متمركزين على سدة صغيرة بالمنزل، فسألته عن سبب وجودهم هناك، فقال لي أنه في حالة اقتحام البيت سوف يشتبك الجنود معنا وعند دخولهم سوف يفاجئون بهم يطلقون على الجنود، وفعلاً بقينا هكذا. كانت الساعة حوالي الخامسة صباحاً عندما سمعت صوت الجرافة تتقدم فبدأنا ننظر من أحد شقوق الشباك وفعلاً كانت تجرف باتجاهنا فبعث أحد الأخوة يبلغ أبو جندل ومن معه من المقاتلين حتى نتمركز في الطابق الأرضي، حيث أن الاشتباك مع الجرافة لا يفيد (كنا نطلق عليها الرصاص فيرتد علينا). حوالي الساعة السادسة والنصف بدأت الجرافة بهدم المنزل الذي كنا متواجدين فيه، وقسمت المنزل نصفين، على الفور بدأ جزء بالخروج من الثغرة الموجودة بالحائط، أبو الجندل قال أنه سوف يقفز من الشرفة حيث اننا كنا ١١-١٢ شخص ولا نستطيع جميعاً الخروج من الثغرة على اعتبار أن الجرافة تجرف بالبيت، فذهب أبو الجندل إلى الشرفة، وهناك أطلق عليه القناصة النار فاصيب وصرخ وقال لنا أنه أصيب. حاولنا أن نطلق النار حتى نستطيع اخراجه الا أن القناصة بدأوا بالإطلاق علينا

وكذلك اشتركت دبابة. قال لنا أبو الجندل اذهبوا، وأنا سوف أتدبر نفسي، طبعاً لم نستطع إسعاف أبو الجندل وتقدم الجيش باتجاهه وقام بتصفيته مع الإشارة إلى أن إصابته كانت بقدمه.

قاموا بتصفيته بدليل أنكم تركتموه وهو مصاب؟

نعم، كان حي ويتحدث معنا وتحدثنا معه.

أيوجد شاهد عيان رأى الجيش وهو يطلق على أبو الجندل عندما القي القبض عليه؟

انا شاهدت الصورة عندما قدمت للسجن، حيث أننا تركنا أبو الجندل مصاب بقدمه ولم تكن جثته محروقة أو أي شيء. طبعاً نحن انسحبنا وتمركزنا في بيت شخص اسمه علي الحبيب، وأتانا أحد الأخوة وقال إن أبو الجندل استشهد والجيش موجود، حيث كنا بالمكان الذي كنا به، وأن جثة أبو الجندل سحبت من هناك.

عندما سمعتم صوت الجرافة قادمة هل كان بإمكانكم الانسحاب من البيت؟

نعم هذا الذي حصل. نحن كنا ننسحب لكن أبو جندل لم ينسحب من الثغرة انما خرج من الشرفة فأصابه القناص، هذه كانت إمكانية أبو جندل، وقد أثر استشهاده على نفسية الشباب وقد هدأنا من روعهم وبقينا في بيت علي الحبيب، وهناك حوصرنا في عدة بيوت أخرى مثل بيت أبو انور الحامد، وقد اجتمعنا ومعنا عدة بلفونات استولى عليها الشبان من الجيش وبنادق ام ١٦، وقد قمنا بتنظيفها من الدماء سابقاً، حيث أن دماء الجنود على اسلحتهم هو خير دليل على معدل خسائر العدو بالمخيم، وقد استولينا ايضاً على معدات قتالية أخرى، وأذكر هنا أن أحد الشباب استشهد وهو يحاول أن ينزع قلادة أحد الجنود القتلى من رقبته فاطلقت عليه الدبابة النار، وآخر كان يحاول أن يأخذ جعبة أحد الجنود القتلى، فأطلق عليه القناص النار فاستشهد، أثناء ذلك دخل علينا كلب لا إبالغ إذا قلت أن طوله حوالي المتر فاطلق المقاتلون النار عليه، وبعد ذلك وجدوا أن هناك جهازاً

مثبتاً على رقبته فقمنا بالتخلص من الجهاز ولم نعلم ما هو، وقدّرنا في حينه أنه تم كشفنا، فخرجنا إلى بيت آخر يعود للشهيد فؤاد الدمج، وكان البيت محروقاً بالكامل، وقدّرنا أنهم لم يهتموا به. أثناء الليل بقيت الطائرة حتى الصباح تطلق على البيت الذي كنا فيه.

هل وفق معرفتكم تواجد عملاء الاحتلال داخل المخيم أثناء الحصار؟

في الواقع لا يخلو الامر من وجود عملاء. إلا أنه كانت هناك صعوبة في المراقبة وملاحقة المجاهدين المطاردين المباشرة، فالعميل مهما كانت وقاحته لا يمكن أن يرى الصواريخ والقذايف هنا وهناك ويضحي بنفسه ليتابع صياغة تقاريره وينتقل من مكان لآخر لكشف ومراقبة المجاهدين والمقاتلين. وقد لمسنا وجود دور للعملاء أثناء التحقيق، فربما كان بعض العملاء في الأيام الاولى يرفعون تقاريرهم، وكانت أحياناً أسئلة المخابرات أثناء الاستجواب تستند إلى هذه التقارير، وكنا نعرف ذلك من مستوى المعلومات غير المهمة التي بحوزتهم وغير الكاملة، أما بعد اشتداد المعارك في المخيم، حيث أخذ القصف يغطي جميع إنحاء المخيم بشكل عشوائي، فإنني أجزم بعدم بقاء أي عميل في المخيم، فمن اليوم السادس أو السابع للحصار يستحيل بقاء اي عميل هناك مهما كانت جرأته وشجاعته.

أشيع في المخيم أن كتابات وجدت على الجدران المهدمة تمجد "بلبنان الحر" وكان هذا بمثابة تأكيد على أن جنوداً من جيش لحد سابقاً اشتركوا في اجتياح المخيم. ما تعليقك على ذلك؟

ربما هذه جزء من الحرب الكلامية وحرب العصابات بيننا وبين العدو، والتي تترافق مع الحرب العسكرية، وأعتقد أن هذه الإشاعات غير صحيحة فشدة المعارك التي كانت بيننا وبين العدو في المخيم تجعل من الصعب أن يفكر جندي إن كان من لحد أو من العدو الإسرائيلي بالنزول من الدبابات والمخاطرة بحياته ليكتب على الجدران "عاش لبنان حر" أو ما شابه ذلك. قبل خروجنا من المخيم كان مستحيلاً على جنود المشاة الدخول إلى أي حي في المخيم فكانوا يتحركون فقط بالدبابات والجرافات والذي يفكر من المشاة بالدخول لم يخرج منه سالماً. ربما يكون ما ذكرته وسائل الاعلام عن وجود عناصر

من لحد قد حدث بعد خروجنا من المخيم أما ونحن هناك فلا أعتقد ذلك، ربما هذه مجرد إشاعات من طابور خامس أو من وحي النفوس الضعيفة وغير الواعية التي أرعبها القصف والاجرام الذي حدث، فسمحت لخيالها الانطلاق .. فقد حدث أكثر من مرة أن قيل عن وجود الجيش في مكان أو حي داخل المخيم، وعندما نستوضح الأمر يتبين لنا بأن لا صحة لما يقال، فكثيرة هي الإشاعات التي كانت تنتشر وتضرنا أحياناً، ولكن كنا نعمل على ملاحقتها وكشف عدم صحتها بسرعة، مثل الحديث عن البيوت الملغمة والاستشهاديين، وعن تضخيم عدد القتلى والحديث عن ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ قتيل في المخيم. كل ذلك كان عبارة عن حرب إعلامية بهدف كسب الرأي العام وأثارته ضد هذه الجريمة البشعة، ولردع العدو في الوقت ذاته من القيام بمزيد من الخطوات الوحشية، وانقاذ ما يمكن، حيث بدأ التجريف الفعلي للمخيم. البعض منا قيم هذه الإشاعات بأنها كانت مضرة ولم تفدنا بشيء.

ما هو حجم التدمير الحقيقي برأيك وتقديرك وما هو عدد البيوت التي دمرت تقريباً؟

كان الأفضل والأسهل للإجابة أن تسألني عن عدد البيوت التي لم تدمر، فإن حقيقة التدمير في المخيم مرعبة، وقد فاقت كل معقول، لذلك لا يمكن إحصاء ما تهدم.. وإذا فكرنا بالذي لم يدمر سنحدد التالي .. الجامع الرئيسي للمخيم لم يهدم، إضافة للحارة التي تجاوره..من الجهة الشرقية للمخيم هناك معمل طوب استخدم كمعسكر مما حمى أجزاء منه من الهدم، أما البيوت والأحياء المحيطة بالمعمل، فقد قصفت جميعاً بالصواريخ، والذي لم يهدم منها كان محروقاً تماماً مثل بيت أخي الذي أحرق تماماً أيضاً وبيت أحد الجيران.

هل بالامكان الحديث والقول بأن نسبة ٨٠٪ من المخيم دمر؟

أقول إن النسبة لربما تعدت الـ٩٠٪ لأن البيوت التي نتحدث عنها والتي لم تدمر هي فقط على أطراف المخيم، وحتى محيطها غير قابل للسكن بسبب من التصدع والحرائق الكبيرة التي ألمت بها من جراء القصف بالصواريخ، أما باقي البيوت فهي مسواة بالأرض.

هذا بالنسبة للبيوت، ماذا تخبرنا عن عدد الشهداء الحقيقي من مقاتلين ومدنيين؟ مع العلم أنكم خلال المعارك كنتم تتحدثون عن حوالي ١٠٠٠ شهيد ما حقيقة الامر؟

بخصوص المقاتلين الذين استشهدوا من جراء الاجتياح لم يتجاوز الـ ٣٥ مقاتلاً مع بعض، أما من المدنيين، فقد سقط ما يقارب الـ ٦٠-٧٠ شهيداً، منهم من تأخر، ومنهم من تم إعدامه وتصفيته من قبل الجيش بعد اعتقالهم، كانوا يصفون على الجدران ويتم قتلهم مثل ما حصل لجمال الصباغ وعبد الكريم الصباغ الذي شاهدت إعدامه بأم عيني، حيث لم يكن يبعد عنا عندما اعتقلوه، وبعد تفتيشه أطلقوا النار عليه، كذلك كعبد الكريم السعدي ووضاح الشلبي، وجميع هؤلاء مدنيون لم يكن لهم أي علاقة بالمقاتلين. وقد شاهد إعدامهم عدد من أخوتنا على سكة الحديد مقابل مكتب الوكالة. أما عدد المقاتلين الإجمالي الذي تواجد في المخيم من بداية الحصار، فكان لا يتعدى الـ ١٠٠ مقاتل .. إلا أن هؤلاء الأبطال كانوا جميعاً عبارة عن استشهاديين مستعدين بأي لحظة للاستشهاد ولو توفر ١٠٠ حزام متفجر لكان أخذ كل واحد منهم حزاماً دون تردد.

هل تذكر اليوم والتاريخ الذي حدثت فيه الإعدامات التي ذكرت؟

أعتقد أن ذلك حدث في اليوم الخامس للاجتياح لا أذكر اليوم بالتحديد..

لقد أعلنتم خلال فترة الحصار عن وجود استشهاديين، واستخدمت إسرائيل ذلك كحجة لتبرير ما فعلته من قتل عشوائي حتى ضد المدنيين تحت ذريعة أن هؤلاء المدنيين قد يكونوا استشهاديين كما حصل في بعض الحالات، وكما قالوا لتعزيز ادعائهم أن الجنود الـ١٣ قتلوا بالمخيم باستخدام استشهاديين ضدهم..السؤال هو ما صحة استخدامكم لاستشهاديين؟ وما تقييمك الشخصي لاعلانكم عن وجود استشهاديين؟

لقد قلنا سابقاً إن الإعلان عن وجود استشهاديين لربما كان خاطئاً ولم يخدمنا إطلاقاً، لأن بعض البيوت التي قصفت كان مخطط أن يتواجد بها استشهاديون ولكنهم كانوا يخرجون من هذه البيوت قبل قصفها. واجزم

بأن العدو لم يقم بما قام به خوفاً من وجود استشهاديين، بل استخدم ذلك كذريعة لتدمير وتركيع المخيم وقتل أكبر عدد ممكن من أبنائه، ليشكل ذلك رادعاً للآخرين، لذلك قام بقصف بعض التجمعات المدنية التي كانت معروفة لديه بأنها مدنية ..لقد كان من المفروض ومن ضمن خطة المواجهة الدفاعية الخاصة بنا استخدام بعض الاستشهاديين .. مثلاً كان مقرراً إبقاء استشهاديين في منزلي وفي المحْدة .. ولكن في اللحظة الأخيرة قدرنا أن العدو سيقوم بتدمير هذه الأماكن دون الدخول او الاقتراب منها فألغينا الخطة وسحبنا الاستشهاديين.

إذاً، هل تعتبر أن هذا الإعلان كان خاطئاً؟

نعم، أن الإعلان عن وجود استشهاديين كان خاطئاً، كان من الأجدر أن نبقي ذلك قيد الكتمان حتى يفاجأ العدو بها عملياً دون ان ينتبه لها مسبقاً .. إلا أن الإعلام لم يرحمنا، وقام ببث ما كان معروفاً بدائرة ضيقة عبر الفضائيات واستخدمت هذه النقطة ضدنا بدل أن تكون لصالحنا مع أنني أجزم أن خطة شارون لتدمير المخيم الذي اعتبره في أكثر من تصريح له بإنه عش الدبابير لم تكن لتتغير بإعلان وجود استشهاديين أم لم نعلن، لأن النية كانت سحق وتدمير المخيم بالكامل.

لقد استخدمت الإشاعات في حربكم ضد العدو منها الإعلان عن استشهاد عدد من المقاتلين وغيرها من الإشاعات، حدثنا عن هذا الموضوع..

لا أخفي عليك بأن شعورنا الأكبر بالخطر والضغط بدأ بعد مقتل الجنود الـ١٣، أي بعد اليوم الثامن، ولم يكن ذلك الشعور نابعاً من قلة السلاح أو المقاتلين، بل كان لإدراكنا أن خطة تدمير المخيم ومسحه لم تعد مجرد كلام، بل بدأت الخطوات العملية لذلك .. فكان لا بد من اتخاذ خطوة تسحب إحدى الأوراق من يد العدو وهي ورقة المطاردين التي استخدمت كإحدى الحجج الأساسية لدخول المخيم، فقمنا باعلان (إشاعة) عن استشهاد جميع المطاردين الموجودين في المخيم بهدف تخفيف الضغط إن أمكن .. وكان من بين أهم المطاردين والمطلوبين بالنسبة للعدو والذين تم الإعلان عن استشهادهم هم أنا، وثابت المرداوي، ومحمود طوالبة، وقيس عدوان.

ألم يكن حينها محمود طوالبة قد استشهد فعلاً؟

بلى، ووجدنا أن تأكيد استشهاد الطوالبة وإضافة الأسماء الثلاثة الأخرى للقائمة قد يجعل العدو يصدق الإشاعة ويخفف الضغط على المخيم، إلا أن ذلك لم يفد بشيء، عموماً العدو نفى فيما بعد استشهاد الثلاثة، وأكد استشهاد الطوالبة.

أخبرنا عن طريقة "الاستقبال" الخاصة لخبر تقدم الجيش باتجاه المخيم؟

إن ما حدث لأمر مضحك حقاً .. فبما أننا متوقعون قدوم الجيش كنا قد جهزنا مجموعة كبيرة من الأسهم النارية الملونة والخاصة بالأعياد ووزعناها على جميع انحاء المخيم .. وكان هناك أحد الشيوخ المتصوفين لديه أدوات حداء ديني من طبل وصولجان .. الخ، وعندما وصل خبر أن الجيش أصبح عند حرش السعادة ويتقدم باتجاه المخيم، بدأ الإخوان بإطلاق الأسهم النارية من كل الاتجاهات فوق المخيم في حين بدأ الشيخ والذي لقبه "الخروف" بصف الإخوان في طابور واحد وأخذ يقرع الطبول والأدوات الأخرى ويلف مع عدد من الشباب شوارع المخيم وكأنه في جو احتفالي، وكان يحث على الصمود وعدم الخوف وأن طبول الحرب قد قرعت، وأن الجنة بانتظار الشهداء، وهذا الأمر أضفى جواً من المرح ورفع من معنويات الأهالي والمقاتلين الذي بدا كاستقبال للدبابات والطائرات ..وكأن الموت لم يعد حينها من الأشياء التي يخشاها ابن المخيم.

وماذا عن استخدام مكبرات الصوت؟

كان لدى معظم المجموعات في أنحاء المخيم مكبرات صوت كنا نستخدمها للتكبير والمناداة على بعض ولأغراض أخرى .. وعندما بدأ العدو حصار المخيم واستخدم مكبرات الصوت لديه ليطلب من المخيم الاستسلام وتسليم أسلحة المقاتلين، بدأنا نرد عليهم بالمثل، فما أن ينهي الجندي الإسرائيلي جملته حتى نبدأ نحن بالطلب منه الاستسلام ورمي سلاحه الـ ام ١٦ وتسليم نفسه، وسيكون معززاً مكرماً إلى أن نعيده إلى شارونه وإلا سيرى الويلات وسيخرج من المخيم مقطعاً إرباً إرباً، كذلك كنا نحاول رفع معنويات الناس من خلال التكبير وتكذيب ما يطرحه العدو، لأن بعض الناس بدأوا

بعد اليوم الخامس بالتفكير بتسليم أنفسهم، لذلك كان علينا إقناع الناس بأهمية بقائهم حولنا فخاطبناهم بالقول: إن تهديد العدو بقصف المخيم بطائرات اف ١٦ ما هو إلا لدب الرعب فيكم وإجباركم على ترك بيوتكم لتسهلوا عليه المهمة، فإذا بقيتم لن يستطيع تنفيذ تهديداته. إن هذا الكلام أقنع بعض الناس وبعض الناس لم يقتنعوا .. وقلنا للناس أن العدو ينفذ إعدامات بحق من يسلم نفسه وبالفعل حصل ذلك أمامنا كما ذكرت سابقاً .. وقد ساعد ذلك كله في تأخير إفراغ المخيم، ولكن فيما بعد وعند اشتداد المعارك وشعورنا أن وحشية العدو لا حدود لها وأن إبقاء مدنيين معنا لن يردعه، طلبنا من الأهالي الخروج من المخيم لأماكن آمنة. عموماً كان لاستخدام مكبرات الصوت أثر واضح في زعزعة نفوس جنود العدو، حيث سمعنا بعضهم في إحدى المعارك يبكي بحرقة ويرجونا ويطلب منا عدم قتله وأنه سيرمي سلاحه وسيسلم نفسه.

حدثنا عن عدد الجنود الذين قتلوا في المعارك حسب تقديرك، فرواية العدو تحدثت عن ٢٦-٢٨ جندياً بمن فيهم الـ ١٣ جندياً الذين وقعوا في الكمين .. ما هي الأرقام الصحيحة؟

لنبدأ ببساطة جداً معاً بتسمية المواقع وعدد الجنود الذين قتلوا في كل موقع، وسأترك لك في النهاية جمع العدد الكلي. وهذه المعلومات مؤكدة من إخوان شهود عيان في أرض المعركة .. ففي حارة الدمج اتصل الإخوان وقالوا أن أمامهم سبع جثث لجنود العدو .. وهناك ثلاثة جنود إحرقوا على يد الشهيد محمود طوالبة قرب منزل أبو عيطة لا أعرف اسم صاحب البيت الذي إحرقوا به بالتحديد، ولكن بنفس الحارة الموجود بها رجا أبو عيطة في الحارة الغربية.. وفي منطقة أبو الجندل حارة العموري قام العدو بعملية انزال من حوالي ٢٥ جندياً تصدى لهم الإخوان هناك، واتصل بنا أبو الجندل عبر الميرس، وقال إن لديهم ٥ جثث لجنود العدو .. وفي حارة أبو درويش ابو الهيجا حاول ٦ جنود الدخول من هناك، فتم قتل ثلاثة منهم وفر الثلاثة الباقون .. ومن دار النشرتي حاول ٤ جنود وكان معهم محمد أبو سرية أخذ كدرع بشري أكد لنا وقال أنا أشهد على ذلك، فقد رأيت بأم عيني مقتل الجنود الـ ٤ هناك .. ومن منطقة الجابريات نزل ٥ جنود للعدو باتجاه

حارة السمران، وكان هناك كمين لبعض الإخوان وأحد الاستشهاديين الذي اقتحم وفجر نفسه بهم وقتل الجنود الـ ٥، ولهذا الاستشهادي موجود شريط مصور لوصيته سيعرض لاحقاً، كما أن هناك الجنود الـ ١٣ الذين سقطوا دفعة واحدة في حارة الحواشين، فإذا جمعنا هذه الارقام نكون قد حصلنا إحصائياً على عدد الجنود القتلى وهم ٤٠ جندياً قتيلاً، وبالإمكان التأكد من هذا الرقم من خلال إحصاء قطع السلاح الموجودة الآن في المخيم وعند التنظيمات، والتي تعود لهؤلاء الجنود، ومن هذه القطع عدة "ماجات" وبنادق ام ١٦ طويل وقصير من التي يحملها جيش العدو.

من الضروري حاج أبو علي أن تخبرنا عن بعض النماذج من الشهداء الذين سقطوا خلال التصدي للعدوان على المخيم، أمثال الشهيد البطل طه الزبيدي رحمة الله عليه؟

الأخ طه الزبيدي كان أحد قادة سرايا القدس، وله مشاركات فعلية في العديد من العمليات مثل عملية العفولة والخضيرة التي شارك بها اثنان من الاستشهاديين هما يوسف السويطي ونضال أبو شقرة، وكان دوره كبيراً في هذه العمليات، وباختصار، كان مجاهداً ومناضلاً يمتلك روحاً قتالية عالية .. شجاعاً يعجز الإنسان عن وصف مستوى شجاعته ومستوى عطاءاته التي فاقت سنه، حيث لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر، وكان خاطباً وقد أجل موعد عرسه ٣ مرات، وكانت مرات التأجيل مرتبطة بالاجتياحات التي توالت وصولاً للاجتياح الأخير، حيث استشهد فيه وكان موعد عرسه شهر ٢٠٠٢/٤، وباستشهاده تزوج قبل هذا التاريخ ولكن من ٧٢ حورية في الجنة. أما العبرة، فكانت في طريقة استشهاده، فقد ضحى بحياته من أجل الدفاع عن إخوانه ورفاقه وتأمين سلامتهم، فقد حدث أن بعض الإخوان كانوا يريدون الانتقال من منطقة لمنطقة أخرى بهدف الخروج من المخيم .. وكان عليه أن يؤمن لهم الطريق الذي سيسلكونه والمكان الذي سيقيمون فيه في حال تعذر الطريق الآمن. إلا أنه وخلال محاولته اكتشف الطريق الواقعة فوق حارة الجبارين، فاجأته رصاصة غادرة من قناص استقرت مباشرة في الصدر. حاول أحد الإخوان بعد ذلك سحبه من تحت القصف وإسعافه او إخراجه من ذلك البيت، إلا أنه لم يتمكن بسبب القصف

الصاروخي الذي أطلقته الطائرة المروحية على المنزل، وقد أصاب أحد الصواريخ في البداية غرفة مجاورة، ما اضطر الإخوان للانسحاب فوراً من المنزل. وقد عادوا بعد أن هدأ القصف ليجدوا أن صاروخاً قد أصاب الغرفة التي تواجد بها الشهيد، ما أدى إلى احتراق جثته باستثناء إحدى العصبتين اللتين كانتا بحوزته .. فالشهيد اعتاد حمل عصبتين إحداهما كتب عليها "جند الله" والثانية "لا إله الا الله". وللتوضيح، فإن عصبة "جند الله" جاءت على أثر حادث معين في المخيم بين الإخوان، فقام بعضهم بكتابة وتوزيع هذه العصبات، وبعد تجاوز الحدث عاد الإخوان ووضعوا عصبة "لا إله الا الله محمد رسول الله"، وقد قيل لي، فأنا لم أرَ الجثة بنفسي، إن هذه العصبة الأخيرة هي الشيء الوحيد الذي لم يحترق مع الجثة .. وبهذا يكون هذا المجاهد نال الشهادة التي كان يتمناها، حيث كثيراً ما ألح أن يكون من الاستشهاديين .. وقد سجلت له عدة كاسيتات عن بعض العمليات على الطريق الالتفافي وغيرها من العمليات العسكرية التي قام بها.. وهناك وصية له مسجلة أيضاً وكل هذه الكاسيتات ستظهر إن شاء الله لاحقاً لأنها في الحفظ والصون.

قبل أيام نشرت صحيفة القدس مناشدة من أم محمد التركمان موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان تطالبه المساعدة في كشف مصير ابنها محمد تركمان المفقود، حسب المناشدة .. وقد علمنا منك ان لديك معلومات مؤكدة حول مصير التركمان.

الأخ محمد التركمان، والذي كان لقبه محمد البدوي هو شقيق الشهيد لطفي التركمان رحمه الله .. هو من خيرة الإخوان الأبطال في مخيم جنين، وله كل التقدير والاحترام .. كان هذا الأخ مع الأخوة الشهداء مصطفى الشلبي ومحمد النورسي وثلاثة من رجال الأمن الوطني الذين استشهدوا في بيت قرب بيت الحمدوني .. كان قد أصيب بالشظايا في قدميه وتم نقله من قبل الإخوان إلى البيت الذي كنت فيه في تلك الفترة وهو بيت الشهيد مصطفى أبو سرية، وكان مع محمد شاب آخر مصاب بشظايا يدعى رائد الحنون. حاولنا الاتصال بالإسعاف لنقلهم إلى المستشفى، ولكن تعذر وصوله الينا، فكان هناك دكتور من آل الناشري لم يتمكن من الحضور فاستطعنا ارسال

احد الأشبال إلى بيته ليزودنا ببعض الشاش والأدوية اللازمة. لم تكن المساعدة ذات فائدة، حاولنا من خلال ربط الجرح ببعض الخرق الموجودة والمأخوذة من الشرائط، وحاولنا رفع قدميه واسنادهم بالمخدة على الأقل أن يخف النزيف. في البداية شعرنا أن ذلك أعطى مردوداً إيجابياً، والذي كان يشجعنا أن الأخ محمد كان يتكلم معنا بشكل دائم بعكس المصاب الآخر الذي كان خوفنا من وضعه أكثر لأن إصابته في البطن والشظايا كانت مستقرة هناك وهو صامت لا يتكلم. ورغم الجهد الذي بذلناه لقطع النزيف من أقدام الشهيد محمد، إلا أننا فشلنا ووجدنا أن المخدة التي رفعت اقدامه عليها أصبحت مليئة بالدم .. وبما أن الجيش في تلك الأثناء كان يصفي بدم بارد كل من يعتقله من المقاتلين خفنا عليه من هذا المصير في حال أخرجناه وسلمناه للجيش، وكان أملنا أن يخف النزيف ويصمد معنا لحين نتمكن من نقله للمستشفى، وفيما نحن على هذا الحال، بدأت الدبابات والجرافات تقترب من الحي الذي نحن فيه، وبدأنا نشعر أن المكان لم يعد آمناً للأخوة الجرحى، لذلك نقلناهم لمنزل آخر قرب منزل إبراهيم الدمج، وكان معنا أيضاً جثة الشهيد منير الوشاحي والتي لم نتمكن من نقلها معنا في نفس الليلة .. فيما بعد جاءني أحد الإخوان ليخبرني باستشهاد محمد البدوي الذي هو محمد التركمان، وبقيت جثته في ذاك البيت الذي نقل إليه قرب منزل إبراهيم الدمج إلى أن وصلته الجرافات ودفنت جثته تحت الأنقاض أنقاض ذلك البيت، بينما علمت أن الأخ رائد الحنون الجريح الآخر نجا من إصابته وموجود الآن في سجن عسقلان.

هل كان استشهاد التركمان نتيجة للاصابة؟

لقد أشيع أن جنود الاحتلال عند وصولهم إلى ذلك المنزل أطلقوا النار عليه وقتلوه، ولكنني اعتقد جازماً ان الأخ محمد استشهد أثناء نقله من بيت لآخر .. لأن كمية الدم التي نزفها كانت كبيرة جداً حتى إن إحدى المخدتين التي أسندت أقدامه عليها كانت بثقل "جالون" ماء عندما حملتها من كثرة الدم الذي امتصته من الشهيد ووضعه حسب تقدير الأخوة كان صعباً جداً، فجسده بدأ يبرد إلى درجة كبيرة، وأحياناً كانت حرارته ترتفع بشكل كبير أيضاً نتيجة إصابته، ومن ثم جاءت الجرافات وهدمت البيت على الجثة.

وماذا حصل مع الجثة الثانية؟

بالنسبة للجثة الثانية وهي جثة الشهيد منير الوشاحي تمكنا فيما بعد من نقلها لمنزل آخر لتتمكن أمه من رؤيته قبل دفنه. والبيت الذي نقل إليه يعود لخليل النورسي .. فقد جاء الشهيد محمد النورسي وطلب نقل الجثة إلى منزل إبراهيم النورسي لتتمكن أمه من رؤيته، وبالفعل أخذ الجثة بعد نقل بقية الجرحى، وجاءت أمه ورأته، وبعد ذهابها بفترة وجيزة أذيع نبأ استشهادها .. شهيدة وأم الشهيد.

ما هي قصة رائد الفرير؟

الأخ رائد الفرير كان من الإخوان الذين إصيبوا إصابة بالغة في ظهره أثناء الاشتباكات، وكان في المبنى الذي نحن فيه، وبه جثة شهيدين إحداهما لمنير الوشاحي .. ولتقديرنا أن رائد الفرير هو في الرمق الأخير لحياته قلنا له إن يتمدد وسط الجثتين ويقرأ على روحه الفاتحة. وبالفعل تركناه ممدداً بين الشهيدين وبعد مرور ما يقارب ٢٠ أو ٣٠ دقيقة وكنا قد ابتعدنا قليلاً من مكانه كانت المفاجأة أن التفتنا لنجد ان الأخ رائد الفرير يلحق بنا راكضاً ضاحكاً ويقول ها أنا لم أمت، فقلت له إذاً أركض بين المقاتلين فنحن هنا جميعاً مشاريع شهادة فلا تستعجلها فهي قادمة .. لكنه شفي من جراحه بعد الاعتقال وها هو الآن في سجن عسقلان أيضاً.

كيف تم قتل الجنود الـ١٣ الإسرائيليين؟ هل كانت هناك عملية مخططة وكمين مسبق؟

قبل الدخول في الحديث عن هذه العملية لا بد من التوقف أمام أسماء أولئك الإخوان الأبطال وهم نضال النوباني، وأمجد الفايد، ومحمد الفايد. وهؤلاء الثلاثة كانوا من أشرس المقاتين في المخيم، فنضال قبل أن يصبح ضابطاً في الأمن الوقائي كان من كوادر الانتفاضة الأولى، وأسر وعذب كونه إنساناً حراً وشريفاً، وكان كلما شاهد دورية للاحتلال أثناء عمله بجهاز الأمن الوقائي فتح النار عليها دون أي أوامر، وقد تم الاحتجاج على تصرفاته من قبل الـ D.C.O، وبعد معاقبته من قبل المسؤولين في الجهاز تم حرمانه من

حمل السلاح بشكل كامل. وقد بدأت الانتفاضة الثانية وهو على هذا الحال. تم الحرمان حتى وقع الاجتياح الأخير، ورغم كثرة السلاح فمن الصعب أن تجد قطعة من دون فارسها، وكان هذا الاخ يتحرّق لحمل السلاح ونجحنا أخيراً بتأمين رشاش كلاشنكوف وسلمناه للاخ نضال الذي طار من الفرح ولم يصدق ما يرى، لأن فترة الحرمان من حمل السلاح كانت قاسية ومريرة عليه وتحز بنفسه، وقد أخذ بعد ذلك يتنقل من مكان إلى آخر باحثاً عن جنود إسرائيليين إلى أن شاء القدر وجاء يوم ٢٠٠٢/٤/٩، وكان متواجداً في حارة الحواشين، وكان معه الاخوين محمد وأمجد الفايد وهما ايضاً من المقاتلين الشرسين، وكانا في الاجتياحات الأولى في طليعة الذين تصدوا وعلى رأس المقاتلين .. في ذلك اليوم وفي تمام الساعة السادسة والربع صباحاً كان هؤلاء الأخوة الثلاثة في حارة الحواشين، وهذه الحارة بها أزقة ضيقة عسيرة المسالك والدخول والخروج منها غير سهل لابناء المخيم فما بالك بغريب عن تلك المنطقة. وبينما كان الأخوة الثلاثة ومعهم بعض الأشبال متواجدين في أحد الأزقة شاهدوا نزول ٥ جنود للعدو مسلحين برشاش ماج وام ١٦، ولم تكن الدبابات والجرافات قد وصلت بعد إلى حارة الحواشين. وكان معلوماً أن السيطرة على تلك الحارة تعني السيطرة على معظم انحاء المخيم .. تركنا الجنود الخمسة يتقدموا لأن طبيعة حركتهم وتلفتهم بكل الاتجاهات دلت على أنهم قوة استطلاع وأن خلفهم قوة أخرى تحميهم. ودون أن يكشف العدو تحركنا تقدم بعض الإخوان إلى أول الأزقة، والتي لا يتجاوز طولها من ١٠ إلى ١٥ متراً، وأخذوا مواقع قتالية من مقدمة الدخلات حتى نهايتها، وتوزعوا بشكل مثلث بحيث لا يصيب أحدهم الآخر أثناء الاشتباك، وأوعزوا لبعض الأشبال التواجد والاختباء في وسط ذاك المثلث وبحوزتهم مجموعة من عبوات الكوع. وعند وصول الجنود الخمسة وخلفهم بقليل ٧ جنود آخرين إلى منتصف المثلث بدأ الأشبال برمي الأكواع، وتمكنوا من رمي ما يقارب ٦ أكواع أخذت تنفجر بين جنود العدو، وكانت التعليمات للأشبال عند سماعهم إطلاق نار باتجاههم الاختباء في أسفل السور والبقاء هناك. وكانت الخطة بعد الأكواع الاقتحام بالرشاشات مع التكبير ككلمة سر لانطلاق الرشاشات. في تلك الأثناء كانت صرخات الجنود تسمع في معظم أرجاء المخيم، بينما كانت رشاشات

الإخوان الثلاثة تجهز عليهم، حيث كانوا مطروحين جميعاً على الأرض، وأثناء الهجوم وجد الإخوان ثلاثة جنود أحياء مصدومين من رؤية بقية زملائهم قتلى فرموا أسلحتهم ورفعوا أيديهم وارتفع عويلهم وبدأوا يناشدون بعدم قتلهم، إلا أن الإخوان لم يستجيبوا لهم وأطلقوا النار عليهم وقتلوهم .. قد يسأل البعض لماذا لم نأسرهم، والجواب أن الوضع لم يكن يسمح لتنقل المقاتل بمفرده فكيف لو معه أسرى وكذلك الجيش على استعداد لقتل جنوده ومن معهم كما فعل في الاجتياح السابق حيث قصف أحد المباني الذي تحاصر به مجموعة من الجنود ومعهم بعض المقاتلين. وإذا سمحنا لهؤلاء الجنود بالعودة من حيث أتوا سيعودون مرة أخرى لقتلنا، لأنهم لم يتواجدوا هناك إلا لذلك الهدف. بعد الإجهاز على كامل القوة المهاجمة بدأ التكبير والتهليل بالحارة وتجمع عدد من الأخوة وبعض الأشبال وبدأ بعض الإخوان تجمع جعب الجنود عن أجسادهم وقد تم ذلك بطريقة تشير لعدم خبرة هؤلاء المقاتلين بكيفية التصرف السليم في مثل هكذا وضع .. الأسلحة التي اخذناها هي رشاشان من نوع "ماج" وبنادق ام ١٦ قصيرة وطويلة وشنطة للإسعافات الأولية كذلك ثلاثة أجهزة ميرس خضراء اللون كانت بحوزة قائد القوة .. إضافة لمخازن الرصاص كما وجدنا بعنق كل جندي خيط أسود معلق به ما يشبه الميدالية المغلفة بقماش (المقصود هو قرص معدني "ديسكيت يكتب عليها رقم الجندي)، وقد أخذها الإخوان من باب حب الاستطلاع ووجدنا أنها تحوي على رقم الجندي واسمه .. في هذه الأثناء طلبنا من جميع الإخوان الانسحاب من المنطقة تحسباً من قصفها ..الاخ نضال رحمه الله كان يلف "شرشور" الماج على وسطه، ويحمل قطعة الماج مع رشاش الكلاشينكوف لأنه اعتبره صاحب فضل بعد رب العالمين بهذا النصر فأبقاه بيده متفاخراً. في الوقت الذي كنا نبتعد به عن الجنود القتلى كان ما زال هناك بقربهم ٤ من الإخوان، وكنا نفكر بنصب كمين آخر لضرب القوة التي من الممكن أن تأتي لسحب الجثث عندما انطلقت نيران غزيرة جداً أصابت الطلقات الأولى الأخ نضال واستشهد على الفور، وقد حاول الإخوان الثلاثة الباقون أخذ ساتر للاحتماء، إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك، فاستشهد الإخوان محمد وامجد الفايد وأصيب الأخ الرابع بجراح. في ذلك الوقت، وبما أننا لم نكن بعيدين عن موقع الحدث، بدأنا بإطلاق النيران

باتجاه نيران العدو واكتشفنا ان المواجهة أصبحت مع الدبابات التي بدات الدخول إلى حارة الحواشين من حارة الدمج، وأشير إلى أن الوقت الذي استغرقته العملية من البداية حتى الانسحاب استغرقت ١٥-٢٠ دقيقة، بعدها كان الأخوة الثلاثة قد استشهدوا. بعدها تمكنا من الانتشار خلف ساتر وبدأنا الاشتباك بشكل عنيف مع القوة التي بدأت تتقدم لسحب الجثث وتمكنا من إيقاف تقدمهم ومنعهم من تحقيق هدفهم من الساعة السابعة تقريباً حتى الساعة الواحدة، أو الثانية بعد الظهر. وكانوا خلال تلك الفترة يستخدمون مكبرات الصوت للطلب منا اعطاءهم فرصة ليتمكنوا من سحب الجثث وسينسحبوا كلياً بعدها .. وكنا كمقاتلين بالنسبة لنا نعتبر دخولهم لحارة الحواشين يعني سقوط المخيم ولهذا كنا نرفض وقف إطلاق النار، وكان لا بد من استمرار المقاومة ومنعهم من سحب الجثث .. في هذه الأثناء بدأت طائرة الاباتشي بقصف مواقعنا فأخذنا تحصينات قريبة من حارة الحواشين في بيت أحد سكان المخيم ويدعى علي الحبيب .. الأباتشي قصفت ما يقارب ١٢ صاروخاً وانسحبت عندها بدأ بعض الإخوان بمحاولة مسح الأسلحة من دماء الجنود فطلبت منهم إبقاء الدماء على الأسلحة لكي يشهد العالم فيما بعد الحملة والحصار على هشاشة ونوعية الجندي الإسرائيلي الذي يتقوى بالأسلحة المتطورة والحديثة. وبالفعل، توقف الإخوان عن تنظيف الأسلحة. ولكي نكون جاهزين للمعركة القادمة طلبنا من الإخوان استغلال وقت الهدوء النسبي لأخذ قسط من الراحة، لأن الليل كان يحسب لهم والنهار لنا .. وقد كان في البيت ثلاث غرف توزع الإخوان عليها بعد تأمين مناوبة وحراسة وذهبت أنا لأستريح قليلاً في إحدى الغرف، فتمددت وكان السلاح على صدري، ولم يمضِ وقت طويل وإذ بي أسمع إطلاق نار غزير بداخل الغرفة التي أنا بها فنهضت مسرعاً وسألت ما الأمر قال أحد الإخوان هناك جيش وتبين أن أحد الكلاب المدربة التابعة للعدو قد دخلت فجأة على البيت فظهر الإخوان ان وراء الكلب يوجد جيش فمنهم من أطلق النار على الكلب وقتله والآخرون بدأوا بإطلاق النار عشوائياً من الأبواب والشبابيك على الفور طلبت من الإخوان وقف إطلاق النار لانهم يطلقون على شيء غير مرئي أو موجود وكانت الخشية أن نؤذي بعضنا .. وأن يخرج عدد من الشباب للاستطلاع لمعرفة إن كان هناك جنود أم لا .. وبالفعل هدأ

الإخوان وتفحصنا الكلب الذي كان دمه يسيل وفحصنا الدخلة التي جاء منها فلم يكن هناك ما يثير الريب، وقد خرج أحد الأشبال وانبطح في زاوية مطلة على الدخلة الموصلة الينا، وأعلمنا بعدم وجود أثر للجيش، مما طمأن المقاتلين أكثر. وقلنا لهم أنتم الآن بأمان وطلبنا إدخال الكلب وإبعاده عنا لرائحة دمه الكريهة التي لا تطاق. وطبعاً كانت قد أقعدت الدنيا علينا في ذاك البيت وبقينا حتى الصباح، وكانت "الأباتشي" والدبابة تقصف طوال الليل على البيت الذي بجانبنا والذي كنا فيه سابقاً، وكانت كل قذيفة تحدث ناراً كبيرة، وعند الصباح تفاجأنا بالجرافات تصعد باتجاهنا ولم يكونوا قد عرفوا أين نحن بالضبط، لكن كانت الدبابة تهدم البيوت عشوائياً .. عند ذلك خرجنا من البيت وقسمنا أنفسنا لمجموعتين ..الأولى توجهت إلى بيت عبد أبو الذياب وتمركزت به، وأخرى انتشرت في حارة ثانية، ولم أعرف مكانها بالضبط.

كم كان عددكم عندها؟

كان مجموعنا في تلك الأثناء بين ٢٠-٢٥ مقاتلاً .. بعد الانتشار لم نكن بعيدين كثيراً عن بعض، ونحن جالسون شاهدنا قصفاً صاروخياً على بيت مجاور لنا "بيت أبو محمد خليل موسى"، وقد اشتعلت النيران به للمرة الثانية خلال الأحداث، كما اشتعلت في بيت مجاور له .. حيث كنا في البيت ولم يحدث لنا شيء، كون مكاننا عبارة عن طابق أرضي بين عدة عمارات تحيطه.. وكخطة لإيهام العدو أن مكاننا خال ومحروق طلبنا من أحد الأخوة إشعال إحدى الفرشات على مدخل البيت .. وهكذا حدث أن العدو لم يكتف بحرق المنازل، فرغم اشتعال النيران في العديد من المنازل حولنا، إلا أن الجرافات كانت تتقدم باتجاهها وتهدم كل ما يأتي في طريقها. حتى أن أحد الأخوة كان يعد لنا شوربة شعيرية كان قد وجدها في مطبخ أحد البيوت، وعندما أصبحت جاهزة وجدنا أن الجرافات قد وصلت إلينا فتركنا البيت بسرعة، حيث وصلت الدبابة وهدمت البيت الذي كنا فيه. بعدها انتقلنا إلى بيت شخص يدعى أبو أنور أصله من "نورس"، جلسنا في بيته ما يقارب الربع ساعة بعدها انتابنا شعور بإننا بدأنا ننكشف للجيش، وهذا الكلام حدث في اليوم العاشر.. وأن حركتنا بدت مكشوفة للجيش تماماً .. لذلك انتقلنا من بيت أبو أنور إلى بيت مجاور ومقابل للبيت الذي كنا فيه وهو بيت شخص يدعى أبو الحامد وكان عددنا لا يتجاوز الـ ١٥ مقاتلاً.

هل كان أبو الجندل معكم في تلك الأثناء؟

لا، عندها كان ابو الجندل قد استشهد رحمة الله عليه ... جلسنا في ذاك البيت وبينما كان بعض المقاتلين يحرسون الأبواب والشبابيك تقدم أحدهم يخبرني أن هناك أصوات أقدام تتقدم باتجاهنا .. على الفور جهزنا أنفسنا لاشتباك جديد وبدأنا نتحقق من الصوت صوت الاقدام فتبين لنا من خلال الشبابيك أن القادمين هم أخوتنا وكان بينهم الأخ جمال حويل والأخ عمر الشريف والأخ عصام أبو السباع والأخ إياد السلفيتي، وكان هؤلاء من المجموعة التي انفصلت عنا وعادت لتلتحق بنا. وكان معهم أخ آخر يدعى ثابت مرداوي وعلمت فيما بعد بأن المرداوي، كان مختفياً ومحاصراً لمدة يومين في مكان لو بقي فيه لما اكتشفه الجيش ولم يعتقل معنا .. جمال حويل ومجموعته لم يكونوا على علم بوجودنا في بادئ الأمر. وعندما شخصناهم نادينا عليهم وأدخلناهم إلينا بسرعة وهدوء وكان اللقاء مؤثراً جداً وكأننا لم نلتق ولم نرَ بعض منذ ٢٠ أو ٣٠ عاماً. سلمنا عليهم وهنأناهم بالسلامة.

وبينما نحن نجلس بدأ أحد الاخوة بالبكاء وقال أن ابن عمه وائل أبو السباع قد استشهد قبل قليل بينما كنا قادمين إلى هنا. فقد اجتزنا أحد الشوارع المفتوحة من قبل العدو، وعندما حاول العبور أصابته طلقة قناص واستشهد – فقمنا بالترحم على الشهيد وبتهدئة الأخ ومواساته بأننا جميعاً قدرنا لهذه الطريق حتى التحرير.. بقينا في ذاك المنزل حتى العصر. عندها قررنا أن ننفصل إلى خليتين حرصاً منا على تقليل الخسائر في حال انكشفنا.. فشكلت أنا مجموعة والأخ جمال حويل مجموعة .. ورغم موافقة الجميع على ذلك، إلا أن التنفيذ كان شاقاً وصعباً على كل واحد منا. فبعد أن قررنا انا ومجموعتي الانتقال عبر ثغرة إلى بيت مجاور وجدنا أن المجموعة الثانية قد لحقت بنا.. وأدركنا أن الافتراق عن بعضنا صعب وسلمنا بأن نبقى مع بعضنا، وقلنا بأن ما كتبه الله لنا سيحدث فتوكلوا على الله .. نزلنا بعدها إلى بيت شخص من آل أبو سرية بجانب بيت والد الشهيد مصطفى جبله وأيضاً بيت أبو عيشه ابن الحجة عيشه، وبما أننا كنا مقطوعين من الماء كلياً ولم يكن هناك ثغرة توصلنا إلى تلك المنازل فقد وجدنا شباكاً صغيراً فتحناه حيث كان مناسباً ليكون ثغرة .. وذهبنا لبيت حسين عيشه أبو أياد

وكان المنزل محروقاً إلا أن إحدى الحنفيات لحسن حظنا كانت مكسورة وتنقط قليل من الماء، فعبأنا قنينة وتمكنا بها من سد عطشنا نوعاً ما.. وبعد ذلك فكرنا إذا تمكنا من الوصول إلى الشارع الرئيسي نصبح بمأمن من جنود الاحتلال، إلا أننا تفاجأنا أن إحدى الدبابات تتمترس في وسط الشارع الذي كان من المفترض العبور منه فعدنا إلى المنزل الذي كنا فيه، وقدرنا استحالة الوصول للشارع الرئيسي .. بعدها اقترح أحد الإخوان وهو محمد خليل النورسي الذي استشهد فيما بعد، عليه رحمة الله، أن ننتقل إلى حارة أبو السباع، ومنها إلى طريق المستشفى، وإن شاء الله نكون عندها.

هل كان معكم جرحى في تلك اللحظة؟

نعم كان هناك بعض الجرحى وكان بعض المدنيين أيضاً.. وبما أن خياراتنا كانت معدومة تقريباً للخروج من المخيم، ارتأينا السير بمقترح الأخ محمد النورسي الذي ذهب ومعه الأخ علاء فريحات والأخ عمر الشريف كي لا نخاطر جميعنا بالذهاب ليستطلعوا الطريق وإذا كانت آمنة يعود أحدهم لإخبارنا.. وبعد ذهابهم بخمس دقائق فقط تفاجأنا بعودة علاء وعمر ليقولوا لنا ان الاخ محمد قد استشهد عندما حاول عبور أحد الشوارع لاختبار أمانه. أصابته رصاصة قناص واستشهد فوراً .. عندها أدركنا أن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، وأن خياراتنا بالخروج والخلاص أصبحت معدومة .. وكنت من الأشخاص الذين اتصلوا بعائلاتهم، وأخبرت زوجتي لأن تحرص على نفسها وعلى البنات وعلى البيت، وربما يكون هذا الاتصال الأخير بهم، وعليهم أن يقرأوا الفاتحة علينا ويدعوا لنا وأغلقت الجهاز المحمول كذلك فعل الإخوان، أي كانت بمثابة اتصالات وداع.

ماذا كان رد إسرتك وزوجتك على هذا الاتصال؟ اخبرني عن ردة فعلهم؟

كان بكاؤها الرد الأول، ثم قالت إننا إناس مؤمنون ولا بد أن يكون النصر لكم ولنا، فإذا لم تنتصروا بالدنيا فستكون لكم الآخرة لأنكم شهداء، وختمت وهي تقول "لا حول ولا قوة إلا بالله" واقفلت الخط .. طبعاً بعدها أصبح الهم الأساسي لنا أن نختفي أكثر وأكثر عن عيون جنود الاحتلال فانتقلنا إلى أحد البيوت..

في تلك الفترة كنت على اتصال بالفضائيات .. ألم يكن ذلك خطأ من قبلكم لأنه قد يكشف للعدو أماكن وجودكم؟

العدو بكامل أسلحته من طائرات أباتشي وغيرها لم يكن يوفر مكان إلا وضربه وقصفه فقد قصفوا كل الأماكن بشكل عشوائي ولم يكن هناك إمكانية لمعرفة إذا كان الاتصال بنا مضر أم لا .. وكانت الفضائيات تتسابق للاتصال بنا لبث آخر ما يجري بالمخيم، وللاسف شعرنا أن همهم الأساسي والوحيد نقل الخبر وليس مساعدتنا. لذلك بعد مقتل الـ١٣ جندياً قطعنا الاتصال بهم لأننا أدركنا أنهم لم يساعدونا كفضائيات رغم كل المناشدات. ناشدنا الصليب الأحمر، ناشدنا الأمم المتحدة، ناشدنا لجان حقوق الإنسان، ناشدنا الأمة العربية لتقف موقفاً جدياً مع هؤلاء الناس ومع هذا المخيم .. إلا أنهم للأسف لم يفعلوا .. حتى سيارات الأسعاف لم تعد تتمكن من الوصول إلينا .. وأذكر أنه اتصل وليد العمري مراسل الجزيرة وقال أنه على استعداد لبث مقابلة معي بعد مقتل الـ١٣ جندياً لسرد ما حدث وأنه سيسجل ذلك لتعذر البث المباشر قبل نشرة الأخبار، فأجبته بالرفض بأن كل ما قلناه ونادينا به وتحدثنا عنه لم يساعدنا بشيء حتى سيارات الأسعاف لم تعد تتمكن من الوصول إلينا، وأنتم همكم الأوحد هو التسابق على بث الخبر، بينما همنا الأساسي نحن أن نساعد المدنيين على الخروج ولم نعد نسأل عن سلامة أنفسنا وهمنا تأمين سلامة من معنا من المدنيين من أطفال ونساء وعجائز. ورفضت طلبه وقلت له بأن يتركونا وشأننا بما أنهم لا يستطيعون المساعدة.. فقال بإمكانك قول ذلك بالمقابلة فأصريت على رفضي وقطعت الخط.. الفضائيات لم تساعدنا بالمعنى الفعلي، لقد استفادت أننا نقلنا ما يحدث عندنا على أمل أن يساعدنا العالم، لكن للأسف لم يساعدنا أحد مع أن الأمة العربية وشعوبها لديها إمكانيات لو وضعت في خندق الصراع مع الكيان الصهيوني لهزمته منذ زمن، ولكن للأسف أن معظم زعاماتنا العربية خائنة وهي التي تحمي إسرائيل فكيف ستسمح لشعوبها بدعمنا فعلياً ..

بالنهاية، نقول الحمد لله رب العالمين على كل شيء، ونسأل الله أن يحتسب ذلك العمل لوجهه الخاص، لذلك اعتقد الفضائيات لم تساعدنا عملياً مثلما كنا ننتظر ونأمل كمقاتلين.

نعود للبيت الأخير الذي تحاصرتم فية..

بعد دخولنا بيت حسين عيشة أبو أياد بدأنا بالتفكير بالانتقال إلى بيت أكثر أمناً وفكرنا أن الاختباء في بيت مهدم يبعد الخطر عنا كون البيوت المهدومة أقل تعرضاً للاستهداف، لذلك انتقلنا ليلاً إلى بيت مهدوم بجانب بيت أبو رفعت الرخ وحاولنا أن نصل من هناك لحارة الرخ ومرة أخرى تفاجأنا ان الجيش متواجد بكثرة في تلك الحارة.. فعدنا مضطرين إلى البيت المهدوم الذي لا أعرف اسم صاحبه. البيت سقفه مهدوم بشكل مائل .. فتوزع الإخوان تحت الردم بحيث يحافظون على عدم انكشافهم.. ودخلت بنفسي إلى غرفة صغيرة مليئة بالردم والغبار وشبه مدفونة وكان معي الأخ جمال حويل وشاب آخر من بيت الغزاوي وآخرين.. فقلت لجمال بأنني أريد أن أتمدد وأنام لاستريح قليلاً وعليك البقاء على يقظة تامة والحذر .. ولم يمر وقت قصير وقبل أن أغفو جاءني الأخ جمال وقال إن الأرض تهتز تحتنا.. ولشدة إرهاقي لم ءستوعب ما يقوله في الوهلة الأولى فقلت كيف ستهتز الأرض تحتنا اتركني أنام قليلاً .. وعندما نبهني لخطورة ما يجري نفضت النعاس عن عيني وفعلاً قمت فوجدت أن الجرافة أصبحت قاب قوسين أو أدنى من مكان تواجدنا وأنها جمعت أمامها ركام بعض البيوت المجاورة وتحاول دفعها باتجاه سطح المنزل الموجودين به لدفننا تحت أنقاضه فانسحبنا بأسرع ما يمكن وبآخر لحظة تخلصنا من موت محقق ورجعنا لبيت آل ابو سرية آخر بيت تمت محاصرتنا به، كان ذلك في الساعة الحادية عشرة تقريباً من اليوم الحادي عشر، أذكر أن الاتصالات مع الأسعاف كانت قد بدأت في حوالي الساعة الثانية عشرة.

حدثنا عن البيت .. والحصار الأخير .. وكيف خرجتم؟

نعم.. بعد دخولنا ومكوثنا في ذلك المنزل، وكان معنا أخ يدعى إبراهيم الدمج مصاب في كتفه، فقلنا له إننا سنحاول الانتقال من هنا لبيت طلال الويني على الشارع الرئيسي، وكي لا نذهب مرة واحدة، قلنا له: ما رأيك بما أنك مصاب أن تنزل للشارع ومعك قميص أبيض، فإذا كان هناك جيش ترفع القميص وتسلم نفسك وتقول إنك مصاب ولا يوجد أحد غيرك .. وإذا

لم يتواجد جيش هناك تخبرنا لنلحق بك باتجاه الشارع الرئيسي ومنه باتجاه المستشفى، كل ذلك في الليل حوالي الحادية عشرة والنصف، وفعلاً استعد الأخ إبراهيم الدمج ونزل وما أن فارقنا بمسافة قصيرة وإذا بجندي يمسك به .. كان بإمكاننا من موقعنا قتل الجندي، لكن خشينا على الأخ إبراهيم بإن يطلقوا النار عليه، وكذلك خفنا كشف موقعنا وأن يحدد مكاننا العدو. وقد اكتشفنا فيما بعد بإن مكاننا كان مكشوفاً، ونحن لا نعلم. كنا حينها في بيت طلال الويني المحاذي لبيت أبو سرية الذي عدنا اليه بعد اعتقال إبراهيم الدمج .. هناك تواجد معنا بعض الأجهزة كنا نحافظ على بطارياتها لوقت الضرورة .. في اللحظة الأخيرة أجرى الأخ جمال حويل اتصالاً مع سائق الإسعاف وهو شاب متطوع اسمه غسان السعدي وأخبره بمكان تواجدنا وعدّد له أسماءنا وان جيش الاحتلال يحاصرنا ويحاول دفننا ونحن أحياء .. شاء القدر أن يكون مراسل تلفزيون الجزيرة بجانب غسان السعدي فقال له أن يتكلم مباشرة على الهواء مع الجزيرة وفعلاً تكلم الأخ جمال مع الجزيرة وأخبرهم عن وضعنا، وكانت الجرافات حينها بدأت بالزحف باتجاهنا، وقال الاخ جمال بالحرف مناشداً لجان حقوق الإنسان وكل الهيئات الدولية بأننا محاصرون ومعنا أناس مدنيون وها نحن ما زلنا احياء وإسرائيل وجرّافاتها تحاول دفننا احياء وترفض حتى استسلام هؤلاء المدنيين المحاصرين معنا.. عندها علمنا بتدخل احدى لجان حقوق الانسان وسمع العالم نداءنا، وجاءنا اتصال من محمد الهندي مدير المخابرات في غزة، واتصل ناصر أبو عزيز احد كوادر الجبهة الشعبية في جنين، ووعدوا الأخ جمال بأنهم لن يسمحوا بأن ندفن أحياء، وأنهم سيعملوا على إخراجنا وعلينا تسليم انفسنا. فقال الأخ جمال بأن هناك أشخاصاً يريدون تسليم أنفسهم وآخرين لا يريدون وعليهم إفساح المجال لذلك .. فسأله عن عدد المتواجدين فقال له ٢٧ شخصاً وكنا حقيقة ٢٥ شخصاً، وقدرنا أن نجد هنا أو هناك بعض الإخوان نأخذهم معنا. بعد مضي بعض الوقت، عاد واتصل صائب عريقات وأخبرنا أنه أجرى اتصالاً مع كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة وأنهم يجرون مباحثات لمنع دفننا احياء. وخلال هذه الدقائق أثناء المفاوضات، توجه الأخ ثابت المرداوي وكنت معه وكان معنا إياد السلفيتي كان هناك منزل مقصوص من وسطه مشرف على

الشارع توجهنا اليه لاستطلاع الطريق الذي سنسلكه للوصول إلى حارة أخرى من الممكن أن توفر لنا الأمان فتفاجأنا أن الشارع الذي سنقطعه مقطوع بدبابة في أوله وآخره، وعلى نهايته وخلف إحدى الدبابات تقف جرافة كانت تهدم البيوت .. أمام هذا الوضع الصعب وضرورة الخروج من المكان المتواجدين فيه، اقترحت على الإخوان أن يتسلق بعضنا سطح البيت المقصوص الذي لا يرتفع كثيراً عن الشارع والبقية من الأسفل، ونستعد لعبور الشارع وأن نوزع نيران رشاشاتنا على الجانبين باتجاه الأمام للتمشيط والتغطية لعبور الشارع، ورغم معارضة أحد الأخوة على الخطة، وأن قذيفة دبابة واحدة كفيلة بقتلنا جميعاً خلال العبور .. كنا مصرين على تنفيذها فقال بعض الأخوة إنكم تذهبون بنا إلى موت محتم، فقلنا لهم بالإمكان البقاء هنا لمن يريد أن يسلم نفسه ولن يتأذى. وبينما كنا نجهز أنفسنا (أنا وعصام أبو السباع وثلاثة أخوة آخرون لترك المكان) في تلك اللحظة رن الجهاز المحمول الخاص بجمال، وقال المتصل دون أن أعرف من هو، أن خبراً عاجلاً تناقلته وسائل الإعلام أن السيد حسن نصر الله أطلق مبادرة لإنقاذكم والحفاظ على حياتكم وسلامتكم مقابل الضابط المأسور لديه .. عندها شعرنا بفرح شديد ودخل الاطمئنان لقلوبنا وقررنا البقاء معاً في ذلك البيت على أثر ذلك الخبر وحمدنا الله رب العالمين. ولكن طلبنا أن لا تكون المفاوضات عبر السلطة وسأل المتصل لماذا؟ قلت ان السلطة فيها عناصر غير نزيهة .. وكان الرد ان المباحثات ستتم مباشرة مع لحزب الله.. وهكذا وافقنا على تسليم انفسنا وكان معظم الشباب مستعجلين لتسليم أنفسهم، وكنا قد أشرنا عليهم بالمماطلة حتى الصباح وبما أن مكاننا أصبح مكشوفاً، فإن طائرات الأباتشي لم تفارق سماء المنطقة أبداً، وكانت تنير المكان بالقنابل المضيئة، بعد ذلك بدأت المناداة علينا بمكبرات الصوت من مسؤول الحملة الإسرائيلية على المخيم.

هل كانت أسماؤكم معروفة للجهات التي اتصلت بكم؟

نعم، حينها كانت أسماؤنا جميعاً لدى "بتسيلم" لجنة حقوق الإنسان، والمتصل قال أنه من أم الفحم ومندوب عنهم .. في البداية رفضت إعطاء اسمي وأيضاً رفض الأخ خالد المرداوي خوفاً من قصفنا، وقلنا له إذا عرفوا

أسماءنا سيقصفوننا جميعاً. فقال المندوب لا تخافوا لن يحدث ذلك، وطلب اسماء أخطر ٤ مطاردين عندنا .. فأعطاهم الأخ جمال ٣ أسماء وهم ثابت المرداوي، وعلي الصفوري، وعلاء فريحات، والرابع كان الأخ جمال نفسه. لقد كانت المفاوضات تجري بين الاخ جمال ومسؤول قوات الاحتلال في منطقة جنين. وكان الطلب منا اولاً ان نخرج رافعي الأيدي بعد خلع جميع ملابسنا .. وقد كان هذا الطلب مرفوضاً بالمطلق من قبل بعض الأخوة وقلنا إننا نفضل الموت هنا على أن نفعل ذلك، وأبلغ جمال بالموقف وأن الجميع غير مستعدين لخلع ملابسهم، وكان رد الضابط أنه بقدر حرصكم على سلامتكم وسلامة من معكم فأنا حريص على جنودي خشية من أن تكونوا مفخخين. وبعد جدال وأخذ ورد وتأكيد الأخ جمال على أنه لا يوجد من هو مفخخ نفسه تمت الموافقة على أن نخلع ملابسنا العليا ونخرج دون أن نرفع أيدينا .. وسيكون خروجنا على مرحلتين، مرحلة للتأكد أننا جميعاً لا نحمل سلاحاً، وأخرى نتقدم بها للتفتيش من قبل الجيش. وعند طلوع النهار وجدنا أنفسنا محاصرين من جميع الجهات بالدبابات والجرافات تحيط بنا من كل صوب وعلى بعد يرانا به الجنود .. ونحن مكشوفون من جميع الإتجاهات، ودون مبالغة، فإن عدد الجنود الذين تواجدوا في المنطقة حولنا يزيد على العشرين ألف جندي .. فكل القوات التي دخلت المخيم وحاصرته تواجدت هناك كي تتفرج علينا وكانت مفاجأتنا كبيرة عندما اكتشفنا ان تخطيطنا في الليل للخلاص من الحصار والنزول إلى الشارع المؤدي إلى منطقة آمنة تبين لنا أن هذه المنطقة عبارة عن معسكر جيش مليء بالجنود والقناصة وعلق أحد الأخوة على هذا بقوله لي "شايف يا حج لو خرجنا ليلاً لكان مصيرنا بين "احضانهم"" .. فقلت هذا نصيبنا .. خرجنا ووقفنا على تلة تراب كان المنظر لا يمكن تخيله .. المخيم لم يعد قائماً .. كنا للمرة الأولى ننظر ونشاهد الحارة التي نحن متواجدون فيها .. لم نتعرف على البيوت مع أنني ابن المخيم وعشت طوال عمري به وكنت أعرف بيوته جميعاً إلا أنه اختلف واختلفت معالمه، ومن كثرة الدمار حتى البيت الذي وضعونا به، ونحن مكلبشين لم أعرفه .. كنا ننظر إلى المخيم فلا نجد سوى جبال مكومة من الأسمنت وبقايا البيوت. في تلك الأثناء لم نكن معروفين لدى الجيش كشخصيات .. بدأوا ينادون علينا للتقدم واحداً واحداً .. كان أحد الجنود

يوجه بندقية الـ ام ١٦ باتجاه الشخص الذي يتقدم نحو الضابط للتفتيش، وبعد التفتيش يسلمه لجندي آخر ليكلبشه وينقله لغرفة أخرى .. وهكذا .. خروجنا من المخيم كان مأساة حقيقية شعرنا أن ما حدث للمخيم مأساة كبيرة. بعد تجميعنا في غرفة واحدة مكلبشين أخذونا إلى بيت أبو علي العويس لتفتيش آخر .. طبعاً بيت أبو علي العويس مكون من ثلاث طبقات كان مليئاً بالجنود وعلى كل شبابيك المبنى يرابط قناصة .. استلمونا واحداً واحداً، تفتيش دقيق وأجلسونا على كومة تراب وردم على درج بيت حسين الحج راجح الذي كانت الدبابات والجرافات قد هدمته .. أجلسونا على تلك الأنقاض حوالي ربع ساعة، تفاجأنا بعده بأن الجيبات العسكرية بدأت تتقدم باتجاهنا وجاء ضابط وجاءت الصحافة وبدأت الكاميرات أخذ صور لنا.

ولا إخفي عليك كان منظرنا مؤلماً جداً وخجلين جداً من أنفسنا ورؤوسنا بالأرض، حتى أن الأخ جمال طلب مني رفع رأسي كوننا لم نفعل شيئاً نخجل به، فقلت له "توكل على الله".. الموقف لم يكن سهلاً، فبالإضافة لشعورنا بالانكسار كنت اخفي وجهي من التصوير كي لا يتم تشخيصي .. أحد الإخوان قال لي: "يا حج دير بالك لأنه أحد الأشخاص في بيت أبو سليم يؤشر نحوك" .. فقلت مش مشكلة وحركت حالي قليلاً كي لا يتعرف علي.. بعدها بعشرة دقائق تقريباً اخذونا إلى الجامع وفي الطريق إلى الجامع شاهدنا الجثث المنتشرة هنا وهناك منها المغطى بباب مخلوع ومنها المغطى بالحرامات وغيرها مكشوف ولشباب استشهدوا ..المسافة إلى الجامع لم تكن تتعدى الخمسين متراً.. عند وصولنا الجامع عصبوا عيوننا بالخرق واوقفونا ووجوهنا باتجاه الحائط .. بعد قليل جاء أحد الضباط ينادي صفوري .. فلم أجب، فأعاد الكرة ولم أجب كون اسمي في الهوية لم يكن صفوري بل السعدي .. فتوجه إلي وقال ألست علي الصفوري؟ قلت أنا علي السعدي؟ قال ألست الحاج علي الصفوري أيضاً .. قلت بلى .. عندها أخذوني وأدخلوني الجامع وبدأت رحلة الشتاء والصيف مع رجال المخابرات ورجال الجيش في الجامع.. وأنا معصوب العينين ومكلبش سمعت بجواري أحد الشباب يتم تعذيبه وسمعت من جهة أخرى شخصاً يتكلم العربي ..

يقول للضابط اسمي واسم جمال حويل كان يشعرني بشيء من الراحة وقلت في نفسي أن الشهادة هنا في بيت الله لها نكهة خاصة لم تتوفر للكثيرين ممن استشهدوا ودفنوا تحت الانقاض. حتى أنني فرحت بأن من سيأتوا لدفني سيجدوني كامل الجسد وليس أشلاء وهذا بمثابة عزاء لي. بعدها، أخرجونا من الجامع صفاً واحداً وضعوني أنا في المقدمة وبقية الشباب خلفي .. بعدها تقدم أحد الضباط ورفع العصبة عن عيوني وسأل عن اسمي، وكانت ٤ كاميرات قد بدأت بالتصوير .. فقلت اسمي علي سليمان سعيد السعدي .. قال أنت الحاج علي الصفوري .. قلت نعم .. قال هذا هو الجيش الخاص بك كله قلت نعم هذا جيشي .. عندها أعاد العصبة على عيوني وجاءت إحدى الدبابات وادخلونا بها ولم نكن نعرف إلى أين وجهتنا .. إلى أن وصلنا عرفت أننا في معتقل سالم، وهكذا بدأت رحلتنا في المعتقلات.

ما صحة ما قيل عن أن الجيش وأنتم محاصرون قد أرسل لكم جهازاً من طرفه لتتكلموا معه! وايضاً أن أحد الضباط، حسب رواية الصحفي عبد اليم مفيد (رواية لاجئ)، وهو قائد الحملة قد أدى التحية للمقاتلين وهم خارجون، ما مدى صحة هذا؟

في هذا الكلام بعض المبالغة، قائد الحملة لم يرسل لنا جهازاً، بل كان لدينا اجهزتنا وقد حصلنا على رقم الضابط من الأخ قدروة موسى كونه كان في لجنة التنسيق، وقال اتصلوا على هذا الرقم .. لكن قائد الحملة هو الذي بادر بالاتصال بنا وكانت بداية المفاوضات. أما بالنسبة للضابط وأنه أدى التحية للمقاتلين فنحن منذ خروجنا من بيت أبو علي العويس لم نره أبداً .. لأنه ذهب ليتجول في المخيم لجمع السلاح والتفتيش عن مقاتلين، مع أننا اكدنا له لم يعد هناك مقاتلون، وكان أول سؤال يطرح علينا من بقي من المقاتلين في المخيم، وأجبنا أنه لم يبق أي مقاتل، قال أن لديه أوامر بقصف المخيم بطائرات الـ اف ١٦، فقلنا بإمكانك القصف بطائرات الـ بي ٥٢، لم يعد بالمخيم أحد، قال أين الأسلحة قلنا بقيت جميعها هناك بالمخيم .. وكان هذا هو التحقيق الأولي الذي جرى في المخيم.

الجانب الإسرائيلي يدعي أنه منع الإسعافات من نقل الجثث لأنكم فخختم تلك الجثث؟ وأن الأماكن والبيوت التي تم هدمها كانت تحوي أحزمة ناسفة تركتموها مزروعة هناك، ما مدى صحة ذلك؟

هذا الكلام غير صحيح بالمطلق كون الحزام الناسف يفجر أما بكبسة أو "برموت كونترول" فلا يعقل أن يشرف من مكان واحد على البيوت التي تم هدمها .. والهدف من هذا الكلام محاولة تبرير فاشلة للجرائم الكبيرة التي حصلت بالمخيم .. وحول تفخيخ الجثث، فكيف يمكن أن نفخخ الجثث ونحن نعلم ان من سيرفعها شباب من الهلال الأحمر الفلسطيني؟ وعملياً الذي يأتي ويرفع الجثث ليس الجيش الإسرائيلي، بل الإخوان الممرضون في مستشفى جنين، فهل يمكن ان نفخخ جثة لتنفجر في طبيب يأتي لإسعافك .. هذا ادعاء باطل وكلام غير صحيح.

شهادة جمال حويل / مخيم جنين

شهادة جمال حويل/ مخيم جنين

نرجو بداية أن تعرّفنا على نفسك، وأن تروي لنا عن دورك في أحداث مخيم جنين، الاستعدادات التي سبقت الأحداث وبصورة متسلسلة وكل يوم بيومة إذا أمكن.

أولاً اسمي جمال حويل من سكان مخيم جنين وأنا بالأصل من قرية تدعى زرعين قضاء جنين – طالب ماجستير في الدراسات السياسية في جامعة بيرزيت، أعمل مديراً اقتصادياً في المجلس التشريعي الفلسطيني وعضواً قيادياً في شبيبة فتح في الضفة الغربية، وأعتبر بالنسبة للعدو أحد المطلوبين الأساسيين في كتائب شهداء الأقصى في الضفة الغربية .. أما الذي حصل في مخيم جنين، فكان بمثابة أسطورة حقيقية حدثت نتيجة نجاح تفكير مجموعة من الشباب في المخيم ينتمون لكافة القوى السياسية الفاعلة الذين التقوا معاً ليشكّلوا أروع نموذج للوحدة الوطنية من خلال مناقشة السلبيات وتجاوزها والعمل على تعزيز الإيجابيات بين الجميع، لتكون مثالاً يحتذى به على طول وعرض الوطن من أجل تحقيق أهدافنا بالحرية والاستقلال. منطقة جنين، كما تعرف، قد عرفت في حقبات تاريخية سابقة كنموذج لأعمال المقاومة والتحدي، فمنذ المجاهد عز الدين القسام الذي تمركز في هذه المنطقة وخاض نضالات مشهورة وعظيمة لغاية استشهاده في أحراش يعبد

... مروراً بالبطولات التي خاضها الجيش العراقي وصموده في منطقة جنين واستشهاد عدد كبير منهم هناك .. وقد خرجت من هذه المنطقة عشرات المجموعات المسلّحة على مدى سنوات الاحتلال، خاصة مجموعة الفهد الأسود والنسر الأحمر إبان الانتفاضة الأولى. وصولاً لانتفاضة الأقصى وبروز مجموعات عسكرية مقاومة وفاعلة في منطقة جنين والتي جعلت العدو يعترف أن عدد قتلاه من المستوطنين والجنود يفوق ما سقط من شهداء في هذه المنطقة .. كما أطلق عليها العدو عدة تسميات منها (عش الدبابير) حتى أنه وعلى أثر ما جرى في مخيم جنين، اعتبر ذلك بمثابة الحجر الأساس لقيام الدولة الفلسطينية.

ولو تحدثنا عما جرى من معارك في جنين، فإنها بدأت في ٣٠ آذار وليس كما قيل في ٣ نيسان، حيث بدأت الحشودات العسكرية المكثفة على محافظة جنين، وكان هناك أيضاً عملية إستشهادية نوعية للأخوة في كتائب عز الدين القسام نفذت في حيفا على يد المجاهد البطل شادي الطوباسي وقد اعترف العدو بمقتل ٢٦ أو ٢٨ صهيونياً .. هذه العملية جعلت، العدو، إضافة لنيته المسبقة في اقتحام المنطقة، يضاعف من حقده على جنين وخاصة المخيم، لأن هذه المنطقة شهدت العديد من العمليات الجهادية والنضالية الكبيرة والمتواصلة، فكل مرة كان العدو يحاول اقتحام مناطق في الضفة كان يفشل في اقتحام مخيم جنين رغم أن هذه الأمور لم تكن تأخذ ضجة إعلامية كبيرة كما حدث في آخر اجتياح .. ففي آذار أي قبل ما يقارب ال ٢٠ يوماً من حصار المخيم تصدّينا لهجوم كبير وسقط ٢٥ شهيداً ومنعناهم من دخول المخيم .. إن النجاح في صد هذه الاجتياحات يعود للجهد الجماعي الإيجابي الذي قامت به مجموعة من القيادات الميدانية إن كان من فتح أو حماس أو الجهاد والتي شكّلت القوى الأساسية الفاعلة في تلك المعارك، إضافة لبعض الرفاق من الجبهتين الشعبية والديمقراطية الذين عملوا كأفراد أو خلايا صغيرة.

هل لك أن تذكر لنا بعض من هذه الأسماء الأساسية؟

نعم هناك من الأخوة المميزين في حركة حماس الذين لعبوا دوراً كبيراً في العمل الجهادي في مخيم جنين منهم الشهيد عيسى عدوان، ونصر جرار، ومحمود الحلوة، ومحمود موسى أبو مصعب وجميعهم شهداء، ومن أخوتنا

في الجهاد الإسلامي سرايا القدس الأخ الشهيد محمود طوالبة، هذا الأخ الذي تميز بمواصفات القائد الحقيقي رغم أنه لم يتجاوز الـ ٢٥ عاماً، كما أنه يتحلّى بمواصفات الإنسان البسيط الذي أحب الجميع والجميع أحبه وأيضاً الأخ الصفوري الذي أعتبر من المطاردين الخطرين بالنسبة للعدو .. والأخ بسام السعدي وهو ما يزال مطارداً ويعتبر أمير الأخوة في الجهاد .. والأخ الشبل سعيد الطوباسي أيضاً ما يزال مطارداً، وكان هناك أخوة من خارج المخيم معنا مثل ثابت المرداوي وعبد الحليم عز الدين، إضافة لأخوة آخرين. أما من حركة فتح وتحديداً من كتائب شهداء الأقصى كنا نخبة مميزة جداً في العمل وكانوا أصحاب مدرسة الاستشهاديين في فتح، حيث كانت أول عملية استشهادية في الضفة الغربية قد انطلقت من مخيم جنين، والذي قام بها الشهيد نظير حماد من قرية "العرقة" قضاء جنين. أحد هؤلاء الأخوة المميزين الأخ القائد الشهيد زياد عامر تخرّج من الدراسة الجامعية يحمل دبلوم إنجليزي وكان عمره ٢٧ عاماً .. كان معتقلاً في الانتفاضة الأولى ومحكوم مدى الحياة بتهمة قتل عملاء للعدو، وقد تم نسف بيته وأفرج عنه بإفراجات أوسلو العام ٩٤ .. أيضاً من الأخوة المعروفين في كتائب الأقصى في جنين الأخ أكرم ستيتي ومجدي الطيب .. وقد استشهد داخل المخيم بعملية اغتيال بعد تفخيخ سيارته وتفجيرها بواسطة طائرة استكشاف عن بعد. كما أن هناك المناضل عبد الكريم عويس الموجود حالياً في سجن عسقلان، وكان قد نجا من أول محاولة اغتيال نفذها العدو في منطقة جنين بطائرة الأباتشي، والثانية على مستوى الضفة، حيث قصفت سيارته قرب المقاطعة وقد استشهد، وللأسف في تلك المحاولة أحد الأخوة المعروفين أيضاً في كتائب الأقصى ويدعى معتصم الصباغ .. وكانت إسرائيل تتهمه بأنه أول من عمل على تطوير قذائف وقاذفات الهاون في تلك الفترة .. وكان قد عمل في تلك الفترة مع الحاج علي الصفوري الذي كان حينها جديداً في العمل بينما الأخ عبد الكريم عويس كان معتقلاً مؤبداً في الانتفاضة الأولى وأطلق سراحه في العام ٩٤. كان من مؤسسي مجموعات الفهد الأسود في الانتفاضة الأولى وقد نسف منزله أيضاً .. ومن الأخوة البارزين الأخ أمجد الفاخوري من قرية جبع، وعامر الحوتلي من سيلة الظهر وفي مدينة جنين خطّاب جبارين، وهناك أسماء كثيرة أذكر منها في مخيم جنين

علاء الصباغ والشهيد زهير ستيتي الذي استشهد في معركة جنين في طلعة برقين حيث أصيب في عينه .. والأخ نضال تركمان وكان من الشباب المعروفين جداً في كتائب شهداء الأقصى .. والأخ زكريا زبيدي وما زالا مطاردين حتى الآن، بالإضافة لعدنان أبو نعسة وأسماء أخرى لا أذكرها الآن جميعها. عموماً وقف على رأس تنظيم فتح في مخيم جنين الأخ عطا أبو رميلة، وكان يعتبر رأس مخيم جنين في كل المواجهات بلا منازع . إن كان ضد العدو الصهيوني أو ضد السلطة الفلسطينية في فترة الاعتقالات السياسية، حيث كنا نتعاون مع بعض الأخوة في التنظيمات الأخرى. وكنا نعمل بصورة أساسية مع الأخ جمال أبو الهيجا من حركة حماس، والأخ بسام السعدي من الجهاد.

نود أن تفصل لنا التركيبة القيادية على رأس المخيم .. وهل إذا قلنا "فتح" نعني بذلك كتائب شهداء الأقصى؟

أبدأ بالشق الثاني لأقول أن كتائب شهداء الأقصى ليست بالضبط تنظيم فتح كونه هناك جسم التنظيم الرسمي في مخيم جنين وأمين سره هو الأخ أبو رميلة المسؤول عن كافة القضايا الاجتماعية والسياسية والنقابية، وكل ما يتعلق بالمواطنين في المخيم، وهو مسؤول عن اللجنة الاجتماعية للخدمات الخاصة بالمخيم .. ونحن كنا ندعمه بعمله بتعبئة الجماهير، أما بخصوص الكتائب، فأريد أن أوضح قضية هامة – كنبذة عن الكتائب وتشكيلها في كافة الضفة الغربية لتكون مرجعاً للقراء في المستقبل .. وهي أن الكتائب لم تكن لها قيادة مركزية كخيار وكنهج اتبعناه منذ بداية الأحداث، واعتبرنا أن لكل محافظة خصوصية في طريقة عملها ويمكن أن يحصل تنسيق بين منطقة وأخرى، ولكن لا يوجد قيادة موحدة في كافة المناطق فكل منطقة لها الخيار بما تقوم به حتى أن بعض المناطق كان فيها أكثر من مجموعة تعمل تحت اسم الكتائب دون أن يعرفوا بعضهم، وكان شعارنا في منطقة جنين وعممناه على كل الضفة الغربية ... إن القائد هو الشهيد وما دمت حياً فأنت جندياً في المعركة، وقد حاول العدو توجيه التهم العديدة لنا ووصف مجموعة منا بترتيب هرمي أننا قادة شهداء كتائب الأقصى، ولكن هذا الكلام غير صحيح أبداً.

لو حاولنا التخصيص بشان عمل الكتائب في مخيم جنين، من كان المرجع الأول لهذه المجموعات وهل كان مرجعاً تنظيمياً؟

بشكل أساسي لم يكن لكتائب الأقصى علاقة بالعمل التنظيمي والسياسي. كنا نعمل عملاً عسكرياً مقاوماً وفق ما نستوحيه من فكر الحركة وما كانت تعلنه من مواقف وتوجهات سياسية، وكنا أحياناً نختلف مع الأخوة في التنظيم الذين كانوا يتصلون بطريقة أو بأخرى معنا ليطلبوا منا التهدئة أو أخذ بعض الاعتبارات الإقليمية والدولية بعين الاعتبار، ورغم التزامنا في الخط السياسي العام الذي تعلنه الحركة، إلا أننا كنا نعرف أن هناك أكثر من اتجاه بداخل التنظيم وصل حد التخبط .. لذلك حاولنا الابتعاد بعملنا العسكري عن مثل هذه الأمور، ومرجعيتنا العليا ككتائب لم تتعدَّ المخيم. أما بالنسبة للتسليح والدعم المادي فقد كانت مسألة مهمة وشاقة بالنسبة لنا .. حيث أن العمليات التي كنا نقوم بها كانت تحتاج إلى مبالغ كبيرة أحياناً حتى قطع السلاح كان يصل ثمنها من ٢٠ – ٣٠ ألف شيكل لذلك كان هناك بعض مصادر الدخل من مؤسسات اجتماعية في المنطقة ومن فاعلي خير يريدون المشاركة في الجهاد بأموالهم دون أن يعلم أحد بهم، وهناك بعض المصادر الأخرى من مرجعيات تنظيمية لا أستطيع ذكرها هنا.

لكني سأسألك وأنت حر بالإجابة .. ما هي علاقة منير مقدح بكتائب شهداء الأقصى من حيث الدعم المالي؟

بداية الأخ منير مقدح قائد ميليشيا حركة فتح في لبنان رجل محترم وأنا أكن له كل التقدير والاحترام بغض النظر عما سمعناه مؤخراً. فعندما تخلى الجميع عن أبناء فتح، وخصوصاً النواة الصلبة من حركة فتح الذين شكّلوا كتائب شهداء الأقصى، قام بمدّنا بالعون بجميع الوسائل، وفي كل مناطق الضفة الغربية، إن كان بالمال أو بأمور أخرى. وهذا جاء فيما بعد، أي لم يكن له علاقة بالتأسيس، وقد أوضحنا له منذ البداية أننا تابعون وملتزمون بحركة فتح ومرجعنا الأخ أبو عمار ولا نرضى بغير ذلك، وقد كان هذا لإزالة الشك. لقد كان لدينا لبس حول الجهة التي يعمل معها منير مقدح، إلا أننا كنا بحاجة بالدرجة الأساسية للتمويل.

قيل أن منير مقدح يتلقى الأموال من إيران عن طريق حزب الله .. هل لديك أي فكرة حول هذا الموضوع؟

في البداية أعتقد أن كل من ساعد وعمل في تلك المرحلة وجهت له مثل هذه التهم، من ناحية أخرى لا أعرف الحقيقة بالضبط كوننا لم نكن على مقربة ومعرفة بكل ما يقوم به منير مقدح حتى نقرر بصحة أو عدم صحة هذا الحديث، وعلى كل حال منير مقدح وفي دعمه لنا لم يطرح على الشباب أي شرط من الشروط تملى علينا يتناسب مع الطرح الإيراني أو حزب الله. وأعتقد لو كان هناك علاقة بالموضوع لكان قد اتضح من مطالب خاصة وشروط تلبي مصالح إيران وحزب الله علينا القيام بها مقابل دعمهم. ولم نلمس ذلك أبداً منه. لا أعرف حقيقة مصدر الدعم الذي وصلنا، المهم أنه دعم مفتوح وفاعل.

هل كان الدعم يشمل جميع مجموعات كتائب شهداء الأقصى في كل المناطق؟

نعم .. وأعتقد لم يقتصر الدعم على الكتائب فقط، بل أيضاً شمل كتائب العودة وهي أيضاً تابعة لحركة فتح. كانت علاقة منير مقدح مع الشباب وتحديداً مع الأخ زياد عامر وقمت ببعض الأمور بالسياق، إلا أن العلاقة الأساسية كانت عبر الأخ زياد عامر، وحجم التمويل الذي وصل لم نعرفه إلا أن ثقتنا بالأخ زياد عامر والأخوة الذين كانوا معه جعلتنا نعتبر أن أي قرار يتخذونه يشكل مرجعية لن،ا وكانت تركيبة المرجعية إما ثلاثية أو خماسية .. بعض هؤلاء الأخوة قد استشهد وبعضهم ما زال على قيد الحياة، وأساس هذه التركيبة بالإضافة لزياد، الأخ عكرمة ستيتي والبقية من الأحياء لا حاجة لذكر أسمائهم.

أريد أن أستوضح أكثر حول التركيبة التي تحدثت عنها ثلاثية أو خماسية هل كانوا مثلاً على إتصال بنابلس بالشؤون العسكرية؟

كان التواصل مع نابلس تنسيقياً وتشاورياً، نتبادل الآراء حول الوضع الميداني الراهن وأخبار العمليات التي تحصل عندنا أو عندهم، نزود بعضنا

بالبيانات حول تفاصيل ما حدث وبالبوسترات الخاصة بالشهداء لنشرها وتوزيعها في المناطق المختلفة. بشأن التعاون عسكرياً، لدي معلومات أن مثل هذه الأمور حصلت وكانت موجودة بين المناطق الأخرى مثل طولكرم، ونابلس، وبيت لحم، ورام الله. أما جنين، فكان لها خصوصية، حيث أنها مغلقة على الجميع. لم يكن فيها أحد من المناطق الأخرى .. لكن كان هناك شباب تواجدوا في نابلس كذلك الأمر تواجد شباب من طولكرم في رام الله وشباب من جنين تواجدوا في رام الله، لكن ليس العكس مثل عبد الكريم عويس، وهو أحد أعضاء التركيبة الخماسية التي ذكرت، وقد قام بأنشطة وعمليات نوعية انطلاقاً من رام الله.

بالنسبة للتجرب،ة هل تبادلتم الخبرة والتجربة العسكرية بصفتها تجربة تراكمية؟

طبعاً هذه الأمور كانت موجودة لكنها كانت تشاورية وغير ملزمة، وفي النهاية القرار يعود للمجموعات في كل منطقة بمفردها.

لقد لاحظنا خلال الانتفاضة أن هناك خطابين سياسيين خطاب السلطة الرسمي وحركة فتح وخطاب كتائب شهداء الأقصى .. كيف تعاملتم مع هذه الازدواجية؟ وماذا فعلتم لجسر الهوّة بين الموقفين؟

كما قلت سابقاً .. إن الإرباك الذي اعترى الموقف السياسي على مستوى القيادة أثّر بشكل سلبي على عمل بعض الأخوة في الجهاز العسكري. وبالتالي أصبح علينا انتهاج العمل العسكري كأسلوب ثابت لحين يظهر أفق سياسي واضح لإيقاف العمل العسكري .. فهناك القدس والمستوطنات والانسحابات وغير ذلك من الأمور .. وطبعاً مع كل الاحترام والتقدير للمرجعية العليا للتنظيم في الضفة الغربية والمتمثلة بالأخ مروان البرغوثي الذي يعتبر بشكل رئيسي أنه رمز للانتفاضة، وهذا باعتراف العدو قبل الصديق. كنا نحترم رأيه وقراره وبنفس الوقت نؤكد أننا لم نكن بتماس معه في موضوع العمل العسكري .. ورغم أن بعض الأخوة اعترفوا عليه، إلا أنني أستبعد وأستغرب أن يزج الأخ البرغوثي في أمور مثل هذه .. رغم ابتعادنا عن

موضوع مخيم جنين، إلا أن الكلام هنا مهم أن يعرف وأن يقال بأن الأخ مروان من حيث الدعم كان يدعم ولكن ليس للجهاز العسكري .. فمن باب أنني كنت أتحمل مسؤولية الشبيبة الفتحاوية في مخيم جنين وعضو في قيادة الشبيبة في الضفة الغربية، فمن الطبيعي أن يدعمني الأخ مروان .. وموازنتي الخاصة تصلني عن طريقه بصفته أمين سر حركة فتح في الضفة الغربية .. أما أنا فكنت أتصرف بهذه الموازنة لخدمة العمل العسكري .. ولم يكن لمروان أي علاقة بذلك. وأعتقد أن هذا ما حصل مع مروان في أكثر من موقع، ولكن الأخوة في التحقيق وفي مواجهة أسئلة رجال المخابرات والمحققين وأساليبهم المتعددة والأجوبة التي أعطيت والتقارب فيما بينها مكّن المحققين من الإيقاع ببعض الأخوة بمطبات في موضوع الأخ مروان وعلاقته بالعمل العسكري، فإسرائيل كانت معنية بأي شكل من الأشكال تحميل الأخ مروان المسؤولية عن قيادة الجهاز العسكري وكتائب شهداء الأقصى في الضفة الغربية .. وأتحدى، وأنا مسؤول عن كلامي بأن يكون الأخ مروان أو أي شخص آخر مسؤول عن كتائب شهداء الأقصى، وبالإمكان التأكد من هذا الكلام في لقاء مستقبلي، وكنت أعتبر .. وهذا تحدثت به في لقاء صحفي لمجلة الإستقلال، التابعة للجهاد الإسلامي منذ أوائل عملنا العسكري أن سر نجاحنا في كتائب شهداء الأقصى عسكرياً يعود لعدم وجود هيكلية تنظيمية واحدة ومرجعية واحدة في كل المناطق بالضفة الغربية .. طبعاً كان لذلك جوانب سلبية تمثلت بعدم وجود مرجعية تضبط عملنا باتجاه واحد .. إلا أن النجاح كان أكبر .. من ناحية إرباك العدو وعدم قدرته على ضرب مجموعات كبيرة لمجرد خطأ صغير أو ضربة صغيرة .. فمثلاً عند الأخوة في حماس أو الجهاد الإسلامي كان إذا ضربت لهم مجموعة عسكرية في نابلس تمتد هذه الضربة لتشمل أشخاصاً وحلقات في بقية مناطق جنين، وطولكرم، وقلقيلية وغيرها .. التركيبة عندهم كانت بشكل هرمي فإذا اعتقل أحدهم وانهار في التحقيق يعترف عن كل الهرم التنظيمي. وهذا حصل مع الأخوة في سرايا القدس، لكن في حركة فتح اختلف الأمر. فمثلاً أنا لا أعرف أحداً في نابلس، وإذا عرفت أحدهم يكون مطلوباً مثل ناصر عويس أو رائد الكرمي. وإذا عرفوني فنفس الشيء لأنني مطلوب .. وأكبر مفاجئة

كانت للشباب عند دخولي السجن وذهابي إلى مجدو أن كثيراً من التهم المنسوبة لي لم أكن مسؤولاً عنها، وكان الشباب يتوهمون خاطئين بأنها مسؤوليتي نتيجة لأن الإعلام الإسرائيلي ومحطات الجزيرة وأبو ظبي كانوا يعلنون عني بشكل آخر، ففي التقارير التي بثوها والمقابلات التي أجريت معي كانوا يطلقون علينا أسماء ومسميات كبيرة لم يكن لي علاقة بها .. وفي التحقيق تبين أنه لا صلة لي بكثير من الأمور وهذا باعتراف العدو على موقعهم في الإنترنت والمسمى I.D.F "التابع لوزارة الدفاع"، وقد جاء فيه أنه بعد التحقيق تبين لهم أن لا علاقة لبعض الأشخاص بأعمال "إرهابية" ممن كانوا متهمين بها مثل جمال حويل، ولكن في بداية اعتقالي بن إليعيزر قال يكفي أننا قضينا على قيس عدوان ومحمود طوالبة واعتقلنا جمال حويل والحج علي الصفوري وحمّلوني عندها المسؤولية عن أكثر من ١٥٠ عملية، ولكن التحقيق أظهر بأن لا علاقة لي بأي واحدة منها.

بعد تأكيدك أن نجاح عملكم العسكري هو بعدم وجود مرجعية موحدة وبالتالي صعوبة ضربكم من قوات الاحتلال، وأنكم في كل منطقة "استقليتم" كمجموعات كتائب شهداء الأقصى في أداء مهامكم العسكرية.. الآن بعد مرور عامين على الانتفاضة، هل فكرتم بآفاق عملكم العسكري وثماره السياسية؟

لا .. لقد ذكرت لك أن تفكيرنا ذهب باتجاه العمل العسكري الصرف لحين يلوح في الأفق حل سياسي يؤدي بنا إلى إيقاف عملنا العسكري، والذي جعلنا لا نلتزم بحلول جزئية عدم التزام العدو بها .. فمثلاً كانوا يطلبون منا وقف إطلاق النار كلياً وأن هناك مساعي .. الخ وفي اليوم التالي نجد أن العدو قام باغتيال أحد القادة أو المقاتلين المطاردين أو محاصرة الرئيس وقصف مقرّة .. وبالتالي أصبحنا نقدّر أن القيادة تريد منا ردّاً على ذلك، وأن نضرب بقوة وبأي مكان كان. ولكن لو أتينا للحديث عن المرحلة الحالية لوجدنا أن هناك إعادة دراسة وتقييم عند كل التنظيمات لأسلوب العمل، وهذا ينطبق على كتائب شهداء الأقصى كونها جزءاً من النسيج السياسي والاجتماعي لشعبنا، ولا بد من إعادة حساباتها في العمل.

في إطار إعادة الحسابات، وكون كتائب شهداء الأقصى بدأت العمليات الاستشهادية من مخيم جنين، كما ذكرت سابقاً، وبنظرة إلى الوراء، هل كان الاستمرار بالعمليات الاستشهادية في الداخل يصب في خانة الحسابات الإيجابية أم العكس؟ خاصة وأن الأمور ذهبت نحو انغلاق الآفاق السياسية، وآمل أن تطرح لنا موقفك الشخصي.

أولاً من الصعب الفصل بين الموقف الرسمي والموقف الشخصي عندما تكون بموقع مسؤول، ولكن رغم ذلك سأحاول وأكون صريحاً معك حتى بشأن موقفي الشخصي .. لقد كانوا يطلبون منا التوقف عن قتل المدنيين وعدم القيام بعمليات داخل العمق الإسرائيلي، بالمقابل نرى الجيش الإسرائيلي اجتاح مخيم جنين لأكثر من ١٠ مرات، يحاصر المخيم بالدبابات، هو ومدينة جنين، ويتم قتل الأطفال والنساء والعجز وقائمة الشهداء طويلة في المخيم .. كل هذه الأمور تولد الرد عند كل شباب المخيم الذين يرون كل هذه الفظائع والجرائم .. فعندما تطلب مني عدم قتل المدنيين وأرى الجيش يحاصرني ويمنع كل شيء ويقتل الأبرياء فماذا علي أن أفعل لإيقاف ذلك غير توازن الرعب الذي شكلته العمليات الاستشهادية داخل العمق الإسرائيلي، والذي كان هدفها تحريك الشارع الإسرائيلي ليضغط باتجاه إيقاف المجازر ضدنا من قبل الجيش .. ولكن الذي حصل أن العالم كله بعد ٩/١١ اصبح يرى بكل عملية نقوم بها أنها عمل إرهابي مرفوض، لأنهم لم يكونوا على علم بحقيقة ما يحصل هنا .. لذلك كان لا بد من إعادة النظر والحسابات بالعمل، وكان لا بد من استمرار العمل وحصره في المناطق التي احتلّت العام ٦٧ ولكن في حال قام العدو بعمل وحشي ضد المدنيين، لا بد من الرد عليه لردعه في العمق الإسرائيلي وفي أي مكان كان.

حتى في هذه المرحلة؟

نعم، حتى في هذه المرحلة.

السؤال الآن عن العمليات الاستشهادية وعبارة "الأخذ بالثأر" والانتقام، والتي تكررت كثيراً خلال إدلاء أخوة آخرين بشهاداتهم .. حتى أنه قيل إن الأخوة في حماس أخرجوا من المخيم بعض القيادات لتبقى في الخارج

بهدف أن تنتقم وتأخذ بالثأر .. ألا تعتقد بأن العمل العسكري بهذا الفهم تحول إلى حالة من الانتقام الشخصي والثأر بدل أن يكون له هدف سياسي؟

نعم، صحيح. وهذا أضر بنا كما أعتقد .. لكن لو حسبناها بطريقة مبسّطة .. هل الثأر سيحقق لنا نجاح أكبر مما قد تحققه إسرائيل من مثل هذه العمليات؟ نعم كنا نسأل أنفسنا مثل هذه الأسئلة .. أقول لك نحن في المخيم كنا مجموعة من الشباب تحدثنا واتفقنا على شيء معين .. بما أن المخيم لا يخلو بيت من بيوته من شهيد أو مصاب أو أسير، فكنا نقول لبعضنا كنوع من المحفز أنه ولو من باب الثأر الشخصي علينا أن نبقى مستمرين في عملنا .. طبعاً هذا الدافع الأساسي ليس الثأر، بل تحرير الأرض ودحر الاحتلال. ولو لم يكن الاحتلال لما وجد الثأر، ولو لم تتواجد هناك مستوطنات ومستوطنين لما وجد الثأر ولو حصلنا على حقوقنا لانتهى الثأر .. في الانتفاضة الأولى استشهد أحد أشقائي، بعد فترة بدأت مفاوضات السلام لم أفكر حينها بأخذ الثأر لأخي وكل الشهداء حتى أرضي ضميري وشعبي وديني، ولكن في النهاية وقد قلت ذلك لأكثر من صحيفة إسرائيلية وأنا خارج السجن بأنه علينا دراسة الأسباب الأساسية التي أنتجت هذه الحالة الظاهرة التي هي أيضاً فريدة وبها من الصمود والتحدي.

واضح لنا أن وجود الاحتلال وأهدافه يعطينا الحق الكامل بمقاومته والنضال ضده .. ولكن في هذا السياق أنتم كقيادة ميدانية وفي ظل وجود خطابين سياسيين، وبالتالي عدم إستثمار، عملكم العسكري .. ألم تحاولوا أنتم كقيادة العمل العسكري في حركة فتح مع القيادة السياسية توحيد الخطاب السياسي، وبالتالي أيضاً استثمار عملكم العسكري وليس فقط الطلب منكم وقف إطلاق النار أو إيقاف العمل؟

من الطبيعي أن يكون الجواب بالإيجاب، خاصة وأن الفصائل المعارضة للسلطة أجريت معها مثل هذه الاتصالات والمشاورات، فما بالك بأبناء فتح وكتائب شهداء الأقصى. ولكن عمق التخبط كما ذكرت لك داخل القيادة السياسية منعنا من تحقيق أي نجاح .. فكانوا غير مدركين لما يريدون .. يوماً يريدون عملاً عسكرياً واليوم التالي عكس ذلك .. لم يكن في تفكيرهم

أي شيء واضح .. وايضاً كان هناك أخطاء في عمل كتائب شهداء الأقصى والجهاد وحماس وبعضها أخطاء قاتلة .. لم يكن العمل دائماً ناجحاً وساهم في وضوح الرؤيا السياسية وتحديد ما نطمح إليه .. ومن هذه الأخطاء أن بعض الإخوان وقّتوا بعض عملياتهم مع وجود شخصيات سياسية ومبعوثين دوليين للمنطقة، اعتقاداً منهم أن مثل هكذا عمليات ستوصل رسائل لهذه الدول بأن يضغطوا على إسرائيل لإنهاء الاحتلال بصفته مسبباً لهذه العمليات، إلا أن إسرائيل كانت مباشرة تعد زيارة لهؤلاء المسؤولين لمواقع العمليات كما فعلت مع تينيت وفيشر وميتشل وباول .. واستطاعت بذلك انتزاع مواقف ضدنا من هؤلاء، وبالتالي من دولهم، وأعتقد أن المضار كانت واضحة للجميع.

هل ناقشتم في حينها هكذا أمور؟

نعم، ولكن ظروف عمل المقاومة لا تكون دائماً مواتية في كل زمان ومكان، ولا يمكن أن تخضع لمواعيد زيارات تلك الشخصيات للمنطقة .. وهذه المسألة الفنية يضاف لها فروقات وعدم التزام من عدد من الأخوة بالتعليمات والتوجيهات. وبصراحة أكثر، في بعض الأحيان اشتدت المنافسة في العمل ورغم إيجابية التنافس في العمل الجهادي والنضالي، إلا أنه في بعض الأحيان يتحول إلى سلبي، فكثير من العمليات فشلت بسبب الاستعجال وعدم التجهيز الكامل لها نتيجة التنافس الذي لم يكن بمحله.

ألا تعتقد بأن التنافس قد أضر من ناحيتين الأولى: كان الإعلان السريع عن العمليات وجهة منفذيها يشكّل خطراً أمنياً على تلك الجهة .. والثانية هي زرع الروح الفئوية بين أبناء الفصائل المقاومة، ماذا تقول في ذلك؟ وماذا فعلتم لتجاوزه؟

أولاً في موضوع الخطر الأمني وكشف أشخاص نتيجة التسرع بالإعلان. كان ذلك من أهم الأخطاء التي وقعنا بها في انتفاضة الأقصى .. وكانت أخطاء كبيرة جداً وقاتلة، أما الخطأ الثاني وبعد تقييم اللجنة التنفيذية لحركة فتح لما حدث من إيجابيات ودراسة السلبيات، فإني أعطي العلاقة الوطنية مع قليل من المبالغة علامة ٨٠ – ٩٠، ولكن بعض الإخوان يقيّمون الأمر بشكل عاطفي ويقولون إن العلاقة الوطنية كانت ناجحة و– ١٠٠٪

وهذا غير صحيح ... أعتقد أن الوحدة الوطنية في جنين نوعاً ما لم تكن متأصلة وواصلة حتى الجذور، وهذا خلال مجمل الأحداث.

ألا تستثني فترة الحصار من هذا التعميم؟

بلى .. فالله يقول أنه يوم القيامة والجميع عراة لا ينظر أحدكم إلى عورة الآخر .. فكيف في الحصار والكل معرض للموت. فقد صدرت رغم ذلك بعض التصريحات الفئوية من أشخاص ومسؤولين خارج المخيم تحدثوا بها باسم المقاومة .. وأن فلاناً مسؤول في فتح وفلاناً مسؤول في حماس وآخر في الجهاد وهذه التصريحات استمرت إلى ما بعد الحصار، فأثناء المعركة، التي استشهد بها حوالي ٦٧ أخ وأخت وإبن لم نكن نفكر ماذا سنكتب على البوستر الخاص بهم .. فتح .. جهاد أو حماس .. ما بعد المعركة وقعت أخطاء كبيرة وقع بها قادة الفصائل، هي البيانات هنا وهناك والتي تعلن المسؤولية عن مقتل جنود في المخيم وتنسبها لذاتها. وهذا التصرف صدر من الجميع سواء فتح أو الجهاد أو حماس. ولكي لا أكون ظالماً وكوني أعرف من قام بهذه الأمور .. أقول أن الذي فعلها لا علاقة له أبداً بالمقاتلين. فقد ذكروا أسماء بعض الأخوة أنهم مسؤولون عن مقتل الجنود في وقت كان هؤلاء الأخوة مستشهدين قبل العملية وقد وزعوا الشهداء هذا للجهاد وذاك لفتح وآخر لحماس ... وبدل أن نعلن عن وحدتنا وتلاحمنا بعد هذه الملحمة الرائعة التي سطرها أهالي ومقاتلي مخيم جنين والتي شهد لها العالم، انتهى الأمر بالبعض إلى إصدار البيانات الفئوية، لقد تحدثت حماس وفتح والجهاد الإسلامي وكأنه لم يكن آخرون غيرهم .. وأنا أذكر أنه كان للرفاق في الجبهة الديمقراطية دور كبير جداً وهم مجرد مجموعة واحدة وقد أثبتوا جدارتهم في الموقع الذي تواجدوا فيه داخل المخيم، كذلك الأمر بالنسبة لرفاق الجبهة الشعبية وهم الآن معتقلون كان لهم دور رائع جداً وكل الاحترام لهم.

هل بالإمكان ذكر بعض الأسماء من هذه المجموعات ؟

لا أعتقد أنه من السليم ذكرها في هذه المرحلة .. لكن الدور الكبير والحاسم في المعركة أعطيه لأبي الجندل .. وأي إنسان يذكر معركة مخيم جنين ولا يذكر

بها أبا الجندل يكون ظالماً وغير منصف .. وأيضاً القائد الميداني الأخ الشهيد زياد العامر الذي استشهد في اليوم الثاني للمعركة .. فالأخ زياد كان صاحب مدرسة فتح المنافذ من بيت لبيت، والتي استخدمها العدو في مخيم بلاطة .. كما أصدر تعليماته بالقنص ليس عبر الشبابيك وإنما "طاقات" خاصة بذلك .. فقد كان إنساناً مثابراً جداً لا ينام ويتجول ويتفقّد جميع المواقع والمحاور في المخيم. أما الأخ أبو الجندل والوحدة الخاصة في الأمن الوطني التي تم توزيعها على جميع أنحاء المخيم، فقد كان لهم دور كبير سنفصّله لاحقاً.

الأخ محمود طوالبة "رحمه الله" دوره تميز في تفخيخ الأزقة والمواسير والحنفيات وكان هذا أسلوباً مبتكراً جداً، بحيث تم تفخيخ المواسير والحنفيات الممددة على جدران المخيم، وكان الجنود يظنونها مواسير ماء، ومن الطبيعي أن يقتربوا منها بدون حذر لحاجتهم إلى الجدران للاحتماء بها وعندها كان يتم تفجيرها وهي عادة تكون مرتفعة بمستوى الرأس، رأس الجندي الذي يحتمي بالحائط. وأيضاً كان للأخ محمود الحلوة من حماس دور كبير .. كما كان دور كبير للأشبال الذين فاجأونا بقدراتهم وجاهزيتهم، وكما كان دور لشباب عاديين يعملون في الأجهزة الأمنية ولكنهم أبدعوا في عملهم، وأذكر منهم الحاج عماد القاسم ملازم أول في الشرطة معتقل حالياً في مجدو وقد بترت يده .. والأخ نضال النوباني وأخوه شادي الذي شارك في قتل الجنود الـ١٣ مع أمجد الفايد ومحمد الفايد.

أريدك أن تعود بتفصيل أكثر حول التحضيرات التي قمتم بها قبل الاجتياح الأخير، وتسلسل الأحداث زمنياً .. كما نريدك أن تحدثنا عن دور السلطة الفلسطينية، حيث جرى الحديث عن اتصالات جرت مع بعض الأخوة والقوى من أجل الانسحاب.

طبعاً الاستعدادات التي كانت قبل الاجتياح الأخير جاءت نتيجة للاجتياحات المتكررة التي تعرض لها مخيم جنين كما ذكرت سابقاً .. ولكن هذه المرة كان الاستعداد مميزاً، لأننا قدّرنا مسبقاً أن هذه العملية العدوانية ستكون مختلفة عن سابقاتها، لذلك كان الاستعداد لدينا أكبر من حيث الكم والنوع عن الاجتياحات السابقة وعند كل التنظيمات. تم اجتماع تنسيقي شمل كل الفصائل الثلاثة الأساسية في المخيم فتح حماس والجهاد، وكان هناك

بعض الإخوان من السلطة الوطنية، وكان ذلك قبل ثلاثة أيام من الاجتياح تقريباً. تم تدارس الوضع وكيفية تطوير آليات العمل في المخيم لمواجهة الحصار القادم ومناقشة سؤال هل نخرج من المخيم أم لا .. وللحقيقة أقولها إنه اجتمعنا لهذا الأمر مع أحد القادة الكبار عند الأخوة في حركة حماس وتكلّمنا في هذا الموضوع وكان ردّنا في حركة فتح – كتائب شهداء الأقصى أنها المقاومة حتى الاستشهاد لأننا اعتبرنا هذه المعركة هي معركة أن نكون أو لا نكون، معركة تحدّ ومعركة النصر. وبنفس الوقت وبصراحة حصار الأخ أبو عمار في رام الله ومراهنته على جنين وحي القصبة بالتحديد في نابلس بالصمود والمقاومة أعطانا قوة دفع كبيرة بأن نستمر ونقاوم داخل المخيم.

هل بالإمكان ذكر أسماء من حضروا الاجتماع التحضيري من قادة الفصائل؟

نعم أذكر ممن حضروا الاجتماع الأخ عطا أبو رميلة عن حركة فتح وبحضوري أنا وكان الأخ إبراهيم جبر وجمال أبو الهيجا .. وبسام الراغب وعلى ما أذكر بسام السعدي من الجهاد الإسلامي .. كما كان الأخ زياد عامر من كتائب شهداء الأقصى .. وكان عبد الحليم عز الدين من الجهاد، وأحمد موسى من حماس، وطبعاً الأخ أبو الجندل قائد معركة جنين بلا منازع، وقائد غرفة العمليات بإقرار الجميع .. وما كنا نقرره كان الإخوة المطاردون الذين حضروا الاجتماع يتلقونه ويقومون بالاستعداد، فهم كانوا بمثابة مسؤولين عن الأجنحة العسكرية يطلعونا على استعداداتهم وإمكانيتهم والشباب الموجودين، ونحن بدورنا نعلم الفصائل بشكل كامل ونضعها بالصورة .. عموماً النقاش تناول في الاجتماع المذكور مسألة الاستعداد لمواجهة معركة قوية جداً، ولم نناقش مسألة الخروج من المخيم أو عدمة كون هذا الموضوع حسم منذ البداية.

ما هي النقاط الأساسية بالتحديد التي ناقشتموها في الاجتماع؟

ناقشنا موضوع الاستعداد للمعركة وانتشار المجموعات في أماكن محدّدة وتوزيع الإمكانيات الموجودة لدى الفصائل سواء أسلحة، متفجرات وغيرها .. وتمت دراسة موضوع المستشفى المتنقّل، وموضوع توفير إطفائية، وتمت دراسة موضوع الممرضين والأطباء الموجودين في المخيم.

هل تم توفير مثل هذه الاحتياجات؟

بصراحة لم يكن الأمر كاملاً .. توفرت عيادة أو عيادتان كما أذكر، وكان عدد من حقائب الإسعاف الأولي متوفراً عند بعض الأخوة ممن اجتازوا دورات إسعاف أولي كنا نقوم بها في مخيم جنين. وبرأيي كانوا أهم ممن كانوا يحملون السلاح في بعض الأحيان لأنهم أنقذوا إخوان رغم الإمكانيات القليلة .. بالنسبة للإطفائية وعدنا من إخوة متبرعين في الداخل بإشراف ومتابعة الأخ عبد الرازق أبو الهيجا لتوفير عدد منها ولكنها لم تصلنا بالوقت المناسب.

هل طرح موضوع الخروج من المخيم بشكل جدي داخل الاجتماع؟

لا لم يطرح إطلاقاً في الاجتماع لكنه نوقش في أحاديث جانبية مع بعض الأخوة ولكن في النهاية كان هناك إجماع حول البقاء.

لقد علمنا عن اتصالات جرت بينكم وبين بعض الجهات، ومنها جهات معارضة حول موضوع الخروج من المخيم.

نعم، لقد جرت اتصالات وأنا شخصياً تناقشت قبل ليلة واحدة من الاجتياح مع الأخ جمال أبو الهيجا في هذا الموضوع، تكلم معي بكل صراحة ومسؤولية عن جدوى ومعقولية أن نكون جميعنا داخل المخيم، وبالتالي نقضي على كادرنا، وكان ردي أن بقاءنا هو أكبر رسالة للأهالي بأنه ليس أبناؤكم الوحيدون الذين يرسلون للاستشهاد في العفولة وحيفا، بل ونحن أيضاً كشباب مسؤولين وقياديين في هذا المخيم علينا أن نتحمل المسؤولية ونثبت للناس بأننا نحن أيضاً على نفس الدرجة من الاستعداد للتضحية مع أبنائهم، وبالتالي كان القرار بالصمود من زاويتين، ضرورة تحدي الصلف الإسرائيلي .. مراهنة الأخ أبو عمار على صمود مخيم جنين وأن يشكل أسطورة .. والمعنويات العالية جداً داخل المخيم، وإصرار القيادات العسكرية على البقاء في المخيم .. وقد حدثت بعض حالات الخروج من المخيم، فقد أقنعت الأخ جمال أبو الهيجا بالخروج أولاً كونه مصاباً من الاجتياح السابق وبترت يده وأن مساعدته لنا من خارج المخيم ستكون أكبر، وهكذا اقتنع. الالتزام عند الأخوة في حماس كجهاز كان أكبر من

الأجهزة الأخرى .. فالأخ طوالبة مثلاً هو والحاج علي الصفوري عندما طلب منهم الدكتور رمضان شلح مغادرة المخيم أو أن يغادر جزء منهم ومن الجهاز العسكري مثل ثابت المرداوي رفضوا بشكل كامل أن يخرجوا، عندنا في حركة فتح رفض كل المطاردين الخروج.

أعود لسؤالي مرة أخرى حول مَن مِن القيادات السياسية في حركة فتح طلبت منكم الخروج وتجنّب ما سيحدث وقدّمت لكم مبرّرات موقفها هذا؟

سأكون صريحاً معك، فقد اتّصل بي أخونا القائد مروان البرغوثي وشرح لنا الموقف من موقعه المطّلع وقال بالحرف الواحد أن المرحلة مرحلة اجتياحات ستستمر شهراً إلى ثلاثة شهور .. مرحلة اعتقالات وتصفية وهدم وضرب البنية التحتية للانتفاضة، وقال هذه معلومات استخبارية أكيدة من الطرف الآخر، وبالتالي عليكم المحافظة على أنفسكم قدر الإمكان، وأن تبقوا موجودين للمرحلة القادمة كشباب تنظيم حركة فتح وليس كأجهزة عسكرية .. وأيضاً جرى اتصال من الأخ جبريل الرجوب وأيضاً طرح رؤيته بالموضوع .. وبهذا السياق أعتبر وبمنتهى المسؤولية بأن تصرف جبريل الرجوب في هذه النقطة تحديداً وضمن المعطيات في حينه كان صائباً في موضوع المقر الأمني في بيتونيا وطلبه من الشباب تسليم أنفسهم، لكن كان الخطأ الأساسي وجود شباب حماس مطلوبين داخل المقر أصلاً، وكان من المفروض أن يفرج عنهم قبل اقتراب القوات الإسرائيلية من المقر. لكنني أعتبر بأن شيئاً ما حصل لا نستطيع الآن فهمه لأنه كان هناك وعودات وضغوطات من الأمريكان بعدم اقتحام المقر لكنهم اقتحموه.

هل طلب منكم جميعاً الخروج من المخيم؟

لا لقد طلب الخروج بصورة خاصة من المطلوبين المعروفين.

كما نعرف منطقة جنين جبلية وفيها ريف واسع .. ألم تتم مناقشة أو حتى التفكير بمسألة تجنب المواجهة من داخل المخيم والخروج إلى الريف لتتمكّنوا من المواصلة والاستمرار في المقاومة، وأن تجنّبوا المخيم وأنفسكم ضربة كبيرة؟

من تجربتنا في الاجتياحات السابقة تكونت لدينا فكرة أن المكان الأكثر أمناً بالنسبة للمقاتلين هو داخل مخيم جنين، ولدينا أمثلة تؤكد هذه

الفكرة .. ففي أحد الاجتياحات السابقة كان هناك أحد المطلوبين "الخطرين" جداً من سرايا القدس متواجد بصورة دائمة في المخيم ويدعى محمد العنيني .. وعندما قرر الخروج من المخيم لسبب أو لآخر وانتقل لقرية ساريس هناك تمكن العدو من اغتياله أثناء الاجتياح، وهناك مثل آخر يؤكد أن خارج المخيم ليس آمناً أو أقل خطراً .. فما حصل لأخينا قيس عدوان مسؤول كتائب القسام والمجموعة التي كانت معه، فعندما خرج من المخيم وتوجه إلى قرية طوباس بعد ٣ أيام من الاجتياح استشهد هناك، وبالتالي لم يكن أمامنا خيار إلا أن نصمد في مخيم جنين لأن الخروج منه خطر.

حدثنا عن مدى استعداد أجهزة السلطة في منطقة جنين بشكل عام والمخيم بشكل خاص، إن كان ذلك بشأن توفير الإمكانيات التسليحية والذخيرة للمقاتلين، أو بما يتعلق بقرار المواجهة .. سؤالي هذا يأتي على ضوء وعودات هذه الأجهزة حتى آخر دقيقة بتقديم أسلحة وذخيرة ولكن في الدقائق الأخيرة قيل إنه تم نقل الأسلحة والذخائر إلى إحدى القرى القريبة.

بشكل عام لم تكن هناك خطة إستراتيجية للمواجهة عند الأجهزة الأمنية، لم يرفعوا شعار المقاومة نهائياً. وقد قام عميد في الجهاز بنقل أسلحته بشكل كامل خارج المنطقة.. وهناك مسؤول الاستخبارات قام بدفن أسلحته بشكل كامل، أيضاً مسؤول كبير في محافظة جنين كان يقول أننا مجموعة مجانين نريد أن نواجه معركة من هذا النوع وكان يكرّر أمنيته بأن يهدم المخيم عن بكرة أبيه، وهذا الكلام أنا مسؤول عنه.

لماذا حسب رأيك كان يحمل مثل هذا الموقف؟

الظاهر أن العمل الوطني كان يعرّي أناساً مفسدين كثراً في السلطة الوطنية .. وهذا كان مطلباً رئيسياً لشبابنا في الانتفاضة والذي هو الإصلاح في أجهزة السلطة وإنهاء ظاهرة الفساد. وبإجماع الجميع كان هذا المسؤول عميل للنظام الأردني، وهو المثال الأسوأ في عائلته دون أن ننسى أنه لبعض الأشخاص من هذه العائلة دور كبير ومشرّف في الأحداث، وساهموا كثيراً في تطوير العمل .. وأذكر منهم أحد الأخوة الرائعين جداً برتبة عقيد. أما

مسؤول أخر[٥].. فهو لم يشترك في أي مواجهة، وأكثر من ذلك كان يهزأ من أعمالنا ويسميها ألعاب نارية ويتساءل باستهزاء .. هل بهذه الأسلحة وهذه الألعاب النارية تريدون المواجهة؟ وهذا يدل على أن نفسيته لم تكن نفسية مناضل يريد المواجهة، ولذلك لم يشارك جهازه بشكل رسمي بالمقاومة. وقد ترك الخيار للعناصر المشاركة والدفاع عن المنطقة ومن لا يريد بإمكانه الذهاب بلباسه المدني والاختباء في قريته. وقد كانت بعض المشاركة الفردية من رجال الشرطة هنا وهناك. وفي آخر المطاف تم تبني عملهم من جهاز الشرطة كما لو كانت مشاركة بقرار من الجهاز .. وأذكر من المشاركين بشكل شخصي الملازم أول عماد قاسم الذي أصيب وبترت يده.

أي أنك تؤكد أنه لم يكن هناك قرار رسمي بالمواجهة؟

نعم أؤكد ذلك كما ذكرت، أما إخواننا في الأجهزة الأخرى مثل الأمن الوقائي شاركوا بمدّنا ببعض الأسلحة وزعناها على الشباب .. كما شارك بعض العناصر بفعالية لكن بشكل شخصي وليس بقرار من الجهاز بالمقاومة. في جهاز المخابرات كان هناك وحدة للقوة التنفيذية موجودة داخل المخيم، وعلى رأسها الشهيد البطل النقيب محمد النورسي الذي استشهد في المعركة هو ومجوعته بشكل كامل. الوحدة التي كانت مدرّبة بشكل جيد ولها دور كبير في المخيم هي وحدة التنفيذ والاستطلاع التابعة للأمن الوطني، والتي ترأسها أبو الجندل وتعدادها ٤٠ مقاتلاً، وهي الوحدة الوحيدة التي قاتلت بشكل رسمي ورئيسي. جهاز الـ ١٧ وبالحرف الواحد الأخ أبو العوض والأخ العميد فيصل أبو شرخ (أبو محمود) مسؤول الـ ١٧ في الضفة الغربية قال يا أخ جمال اعتبروني جندياً في معركة جنين والجهاز ومديره وكل ما فيه من إمكانيات تحت تصرفكم .. لكن للأسف العقيد المذكور اعلاه في القوة الـ ١٧[٦] المسؤول في مخيم جنين لم يتعاون معنا في هذا الموضوع. وقد طلبت منه ذخيرة ونفى وجود الذخيرة لديه وقد استدل الشباب على مكان الذخيرة وتوجهوا إليه وخلعوا الأبواب وأخرجوا الذخيرة ونقلوها إلى مخيم جنين.

---

٥ أخذنا أن نحتفظ باسم الجهاز وعدم نشر أسماء الضباط المذكورين تجنبا لإشكال قضائي ولأننا لا نرغب في الخوض في نقاشات شخصية الطابع، «**مواطن**».

٦ انظر صفحة ١١.

لقد ذكرت سابقاً بأن بعض المسؤولين في الأجهزة أعادوا لكم أسلحة كانوا قد صادروها في السابق هل لك أن توضح لنا الأمر؟

نعم، لقد حدث هذا وأذكر بشكل رئيسي كان لنا قطعة رشاش موجودة عند الشرطة تم إرجاعها وكان هناك قطعة أخرى للجهاد الإسلامي صادرها الأمن الوطني وتوجهت بشكل شخصي للعميد فايز عرفات وأعطاني إياها، وأعتقد أنه قد حدث ذلك قبل المعركة بأربعة أيام، ولم تكن هذه مساهمة ذاتية بالمعركة بقدر ما كان نتيجة للضغط الشعبي الكبير في تلك الفترة، وقد نقل السلاح للمخيم وما زال حتى الآن بحوزة الشباب.

عملياً أنتم كنتم جاهزين بهذه المرحلة للمعركة؟

نعم، إضافة لذلك أمّنا مواد غذائية، حيث أعلمنا كل المحلات التجارية والدكاكين في المخيم بأن تلبي طلب أي مقاتل وتسجّل ذلك لتتم المحاسبة وتسديد الثمن بعد المعركة، فكان التموين مؤمّناً في جميع الأماكن.

بعد هذا التجهيز هل لك أن تذكر لنا المرحلة الأولى من الحصار والمواجهة؟

في اليوم الأول بعد أن استكمل الشباب استعدادهم جرت محاولة اقتحام من المدخل الجنوبي للمخيم، وكان ذلك عند الساعة الثانية أو الثالثة فجراً تقريباً من منطقة الجابريات .. وكان المقاتلون قد جهزوا كميناً كبيراً جداً هناك وقد تفاجأ العدو من وجود الشباب في ذلك المرتفع، وتمت مواجهة قوية جداً، وتم قتل وإصابة بعض الجنود في تلك المعركة وشوهدت طائرات مروحية وهي تخلي المصابين من المنطقة .. وأثناء الليل كان في منطقة الساحة في الشارع الرئيسي تفخيخ كامل للشارع، إضافة لتفخيخ بعض البيوت والمواسير الموجودة على الجدران، وكانت هناك عبوات كبيرة أطلق عليها الشباب إسم "الشبح" ويتراوح طولها من ٢-٦ أمتار، وكانت من صنع بعض الأخوة في كتائب شهداء الأقصى، وكانت موزعة في الشوارع .. هناك عبوات عبارة عن سخانات ماء كبيرة كانت مزروعة أيضاً وهي من صنع الأخ محمود طوالبة .. كان هناك قنابل يدوية من صنع جميع التنظيمات .. وبعض التصنيعات تمت بالتنسيق مع الجهاد الإسلامي وفتح وتقاسمنا

التكاليف .. وقد تم توزيع المجموعات على المخيم وكان يتواجد في بعض المجموعات عناصر من الأمن الوطني لامتلاكهم الخبرة .. في اليوم الثاني على ما أذكر تم تركيز الهجوم من المنطقة الغربية للمخيم، وكان اجتياحاً كثيفاً جداً، وكان متواجداً هناك في مواجهتهم الأخ أبو الجندل الذي طبعاً تجوّل بين المحاور .. المعركة كانت قوية جداً حتى أن صراخ الجنود سمع من مكبّرات الصوت وهم يتوسلون طالبين النجدة من محمود طوالبة الذي يقع منزله مقابل موقع الاشتباك، وقد طلبوا النجاة لأن لا دخل لهم بهذه الحرب .. وقد طلب منهم الشباب إلقاء أسلحتهم وسيكونوا بأمان، وإن لم يفعلوا سيموتون. في هذه الأثناء، اتصل الأخ أبو الجندل بالأخ محمود طوالبة وطلب منه دعمه ببعض المقاتلين وبالفعل ذهب إلى هناك الشهيد محمد النورسي والشهيد محمود طوالبة وبعض الأخوة .. وقد أصيب الأخ محمود في ذلك اليوم بإصابة خفيفة بيده وهذه المعركة على ما أذكر وثّقت بالصور، حيث قتل بها عدد من الجنود وأصيب آخرون.

في اليوم الثالث استشهد الأخ طارق دراوشة من سكان واد الفارعة الذي أقسم له الأخ أبو الجندل بأن لا يخرج من المعركة قبل أن يأخذ بثأره، وهذا ما فعله، حيث رد لهم الصاع صاعين... في اليوم الثالث والرابع تقريباً تم حرق المنطقة الغربية كلياً وبالكامل من جرّاء قصف الصواريخ الذي تواصل ليل نهار كغطاء للجنود المحاصرين .. وقد استشهد خلال ذلك خمسة أخوة أذكر منهم البطل نضال سويطات، والبطل مصطفى الشلبي، والبطل محمد طالب من نورس وآخرين من الأمن الوطني الذين لا أذكر أسماءهم .. بعد ذلك انسحبت المجموعات قليلاً باتجاه وسط المخيم منطقة الحواشين ومن بين المنسحبين أبو الجندل ومجموعته وبقية الأخوة. بعدها تم تركيز الهجوم في منطقة الساحة وطبعاً كانت هناك مقاومة شرسة جداً كونها منطقة رئيسية .. وتمكّنت الدبابات تحت غطاء ناري مكثف من الطائرات والقصف المستمر من التقدم إلى منطقة الساحة، وتم مهاجمة المخيم في اليومين الرابع والخامس على ما أعتقد من المنطقة الشرقية .. في الأيام الأربعة أو الخمسة الأولى كان الشباب ما زالوا يشعلون النار في الليل وسط الشارع الرئيسي ويتحلّقون حولها، حيث بدأت الأمطار الأولى بالتساقط فبدأوا

يهلّلون ويكبّرون مستبشرين خيراً بهطول المطر. وكان بحوزة الأخوة سماعات يدوية تم وضعها على إحدى الجيبات لأننا توقعنا ضرب سماعات الجوامع وإطفاء الكهرباء .. كان لدينا مولد كهرباء احتياط لشحن بطاريات الأجهزة الخلوية خلال انقطاع الكهرباء عن المخيم.

استشهد زياد عامر في اليوم الثاني للاجتياح في منتصف النهار، حيث تم قنصه في إحدى طلعات المخيم وتدعى طلعة قنبر... وقد حاول أحد الأخوة إنقاذه إلا أنه استشهد هو الآخر... والأخ زياد عامر كما قلت من الأشخاص الذين لعبوا دوراً رئيسياً في الإعداد والتحضير الكبير جداً لهذه المعركة وكان من الأشخاص الخلاّقين في أفكارهم وكان مجرد وجوده في المخيم يمثّل عاملاً معنوياً كبيراً جداً، لذلك كان لاستشهاده أثر سلبي على معنويات بعض الشباب في المعركة.

حدثنا عن علاقتكم كمقاتلين بجماهير المخيم، وهل طلبتم منهم البقاء؟ وإلى أي يوم استمر بقاؤهم معكم؟

الأهل في المخيم صمدوا معنا بشكل عظيم حتى اليوم السادس أو السابع، حتى طلبنا منهم الخروج عندما بدأت الجرافات تهدم البيوت وتتقدم من بيت لبيت، وذلك بشكل بطيء، وكانت الطائرات تقصف البيوت بشكل رهيب جداً، لم يبق بيت يحوي مقاتلاً أو مجموعة مقاتلين إلا وقصف، كحد أدنى بثلاثين صاروخاً.

هل بقاء أهل المخيم كان طوعياً أم بطلب منكم؟

في البداية طلبنا من الناس البقاء وحثثناهم على الصمود معنا. ولكن عندما شعرنا أن إجرام العدو يهدّد الجميع دون استثناء، وأنه من الممكن أن ترتكب جرائم بشعة جداً بحق أبناء شعبنا خاصة وأن الإسرائيليين لم يراعوا وجود المدنيين ولم يميزوا بين مدني وعسكري، والمدني استهدف بنفس الدرجة .. وقد وصلتنا أخبار في اليوم الثاني والثالث للاجتياح عن إعدام بعض الشباب أمام أهاليهم في الساحة الرئيسية للمخيم رغم أنهم ليسوا على صلة بأي نشاط، فكان الشاب يعتقل ويصفّى أمام أعين أهله.

الإسرائيليون يقولون إنهم اضطروا لقتل المدنيين لوجودكم كمقاتلين في نفس المكان .. ماذا ترد على هذا الادعاء؟

هذا التبرير ليس غريباً على عدونا الإسرائيلي، فهو دائماً يجد الحجج والمبررات الواهية لتبرير جرائمه .. فكثير من عمليات الاغتيال التي قاموا بها بشكل أساسي بطائرات مروحية ضد بعض المطاردين والمطلوبين وقتلت معهم مدنيين كانوا قريبين منهم، وكعادتهم قدموا الاعتذار الكاذب .. هذه تبريرات ضعيفة.

نحن لم نتواجد أبداً في بيوت مأهولة بالسكان، معظم الأوقات تواجدنا في أزقة المخيم، وعندما يحتاج المقاتل لبعض الراحة والطعام كان يذهب إلى منزله إذا كان قريباً... فنحن من سكان المخيم وندافع عنه وعن أهله... ولكن ارتكاب العدو الجرائم بحق الأهالي أدّت بالمقاومين أن يطلبوا من الأهالي الخروج من البيوت وإنقاذ أنفسهم من أجل تجنّب وقوع مزيد من الضحايا.

أريدك أن تحدثنا عن مشاهدتك لحالات دفن تحت الأنقاض لأناس أحياء وأن تذكر لنا أسماء.

لقد حدثت حقيقة أمور من هذا النوع وتم دفن بعض الأخوة وهم أحياء، وأذكر من الأسماء الشهيد محمد البدوي الذي أصيب بجراح في اليوم الثالث، كما أذكر جرحى آخرين دفنوا تحت هدم الجرافات للبيوت منهم الأخ محمود الحلوة، والأخ منير الوشاحي، وأم مروان الوشاحي، وهؤلاء الثلاثة تم جرف بيتهم عليهم وهم بداخله أحياء .. تم هدم بيوت على جثث شهداء مثل جثة الشهيد نضال النوباني، ومحمد الفايد، وعلام كنيري، إضافة لطه الزبيدي وإخوة آخرين.

لقد كان الأخوة متحصنين في أماكن متعددة .. الحاج علي كان في منطقة الساحة، والصحيح أذكره بالخير لأنه كان له محطات صمود رائعة جداً فهو لم يتحرك لحظة واحدة من المكان الذي يتواجد به رغم القصف الكثيف بالصواريخ والقوات الكبيرة التي تواجدت في المنطقة. في اليوم السادس تقريباً تم جرف منطقة حارة الدمج في الجنوب الشرقي للمخيم، وفيها أصيب

واستشهد بعض الأخوة .. كنا متواجدين نحن ومجموعة من الشباب، أنا والأخ محمود طوالبة وكان أيضاً سائد الطوباسي وهو مطلوب حالياً في الخارج، وكان أخوة آخرون مثل الشهيد محمود الحلوة ... والأستاذ محمد خرويش ... وعبد الحليم عز الدين، كنا موجودين في أحد المنازل وبعدها توزعنا على أكثر من مكان، كون العدو اقترب منا أكثر فأكثر وخفنا من الجرافات ... وتوجه الشهيد طوالبة في اليوم الخامس بالتحديد إلى بيت الأخ جواد الحسنى، والتقى هناك حوالي خمسة من الأخوة الباقين متحصنين في المكان للدفاع عن المنطقة الشرقية من حارة الحواشين... وقد تم قصف هذه المنطقة بالـ (آر.بي.جي) بشكل مكثف، وفيها استشهد طوالبة وعبد الستار وشادي النوباني على ما أذكر، وأصيب الحاج عماد القاسم الذي بترت يده... أحد الأخوة واسمه إياد تحسين من حماس بقي محاصراً تحت الركام في بيت الدرج من اليوم السادس حتى اليوم الـ ١٣ أو الـ ١٥، أي حتى بعد انسحاب الجيش من المنطقة... كان مصاباً حسب المنقذين بحروق في وجهه وتمكن من البقاء على قيد الحياة بفضل قطع من الجبن وقنينة ماء ... وقد روى عن استشهاد الطوالبة حيث كان يعرفه، والأخ طوالبة استشهد في اليوم السادس من المعركة بالتحديد.

عرفنا أنه تم توثيق ما حصل بالصورة، وأنه كان معكم استشهادي كاميرا داخل وأثناء المعارك، هذا ما ذكره بعض الأخوة هل سجلتم ذلك بالفعل؟

الحقيقة هذا الموضوع جاء استناداً لتجربتنا من الاجتياحات السابقة، وأذكر أننا تناقشنا مع الأخ أبي الجندل مطولاً حول كيفية توثيق وتدوين كل شيء، وتحدثت مع الحاج علي والشيخ جمال أنه بعد كل معركة نخرج ببيان مشترك للمعارك وندوّن بها يومياتها وخسائر الطرفين فكان أبو الجندل يسجل بعض الأحداث والتواريخ، كذلك الأمر كنت أسجل أنا بدوري في بعض الأيام بدفتر صغير كان بحوزتي دائماً، ولكن للأسف ضاع في الاجتياح ولم أعثر عليه ... الحاج علي كان معه كاميرا وكان يصور ويعطيها لبعض الشباب أحياناً ليصوروا بعض الأمور المهمة جداً. وأعتقد بأن الأشرطة موجودة وستظهر يوماً ما لنشرها.

أتعتقد أن ما دوّنه أبو الجندل وما سجّله من تواريخ وأحداث بقيت معه؟

أعتقد أنها بقيت معه حتى استشهاده، وربما الإسرائيليون أخذوها بعد ذلك.

ما سبب اهتمامكم بالتدوين والتصوير؟

قياساً لتجاربنا السابقة شعرنا أن هذه المرة ستكون مختلفة، وأن ثمة أسطورة ستكتب في هذه المعارك.

هناك حديث حول التزام من قبلكم في مخيم جنين كفتح وفصائل أخرى كنتم على علم به تم التعبير عنه بورقة أرسلت لأبي عمار قبل الاجتياح الأخير، حدّثنا عن هذه الورقة التي قلتم بها إنكم لن تقوموا بعمليات عسكرية داخل الخط الأخضر.

لقد ركزت القيادة على مخيم جنين بهذا الخصوص بصفته مركز العمل ومحور العمليات العسكرية داخل الخط الأخضر، فتم الاتصال بنا بهذا الخصوص عبر محور رئيسي بصفته التنظيمية بحركة فتح وليس بصفة عسكرية أو أخرى، وهذا المحور هو الأخ مروان البرغوثي، كما اتصل بنا آخرون لنفس الغرض .. لكن مروان كان عند اتصاله مع الرئيس أبو عمار في مكتبه طلب منا ورقة تتعهد بها الفصائل بأن لا تقوم بأي عملية داخل الخط الأخضر، وأن لا تتبنى أي عملية من هذا القبيل. وفعلاً كان هناك تفهم كبير وواضح من الأجهزة العسكرية للفصائل وبشكل رئيسي من سرايا القدس، حيث في هذه الأثناء كان محمود طوالبة مسجوناً عند السلطة في نابلس، والأخ علي الصفوري تواجد في مخيم جنين. وقد استمرينا أنا والحاج علي في السهر والنقاش حتى الساعة الثانية والنصف ليلاً حتى كتب الحاج ورقة بخط يده يتعهد بها أن سرايا القدس في جنين لن تقوم بعمليات أو تتبناها داخل الخط الأخضر. وأذكر بأننا بحثنا عن ختم السرايا ولم نجده. وقلنا لمروان بأننا لم نجد الختم وبالتالي الورقة لن تكون موقعة بختم السرايا فقال لا مشكلة، ابعثوه لي وبعثناه على ما أذكر من مكتب الأمن الوطني في جنين، وقد تسلمها مروان في رام الله وتم التوجه للرئيس الساعة الثالثة صباحاً وهو نائم، وقد اطّلع عليها وأبدى ارتياحه الكبير للتفهم الذي أبديناه في جنين.

ما أفهمه بأن مروان وبحديثه معكم أبدى موقفاً رافضاً للعمل داخل الخط الأخضر، ولهذا طلب منكم ما طلبه على لسان الرئيس.

مروان لا يقول لأحد إعمل أو لا تعمل بهذه المنطقة أو تلك، مروان كان موقفه معروفاً بأنه ما دام هناك احتلال هناك مقاومة لهذا الاحتلال. لكنه في تلك الفترة بالتحديد وعلى ضوء الظرف السياسي والتحركات كان موقفه بأن نقدم مثل هذا التعهد.

متى جرى هذا الاتصال معكم؟ في أي شهر تقريباً؟

على ما أظن في شهر كانون الثاني أو شهر شباط، بمعنى قبل الاجتياح الأخير بفترة.

مع مَن مِن الفصائل اجتمعت لنقل رسالة أبو عمار؟

في حينه كانت لي جلسات مكثّفة مع الشيخ جمال من حماس، حيث علاقتي الوطيدة معه (جمال أبو الهيجا) بصفته ممثل للجناح السياسي، ومع إبراهيم جبر وبسام السعدي والحاج علي الصفوري وعبد الحليم عز الدين ومن فتح الأخ عطا أبو رميلة وعلى اطلاع أول بأول الأخ زياد عامر.

عملياً لم يتم تقديم أي تعهد إلاّ من سرايا القدس؟

الصحيح سرايا القدس تعهدت بما يتصل بهذه العمليات في حدود جنين فقط، والأخ علي الصفوري قال لن يلتزم بهذه الورقة في حال خرقت إسرائيل وقف إطلاق النار ومباشرة اغتالت إسرائيل، لا أذكر من بالضبط، الأمر الذي لم يسعفنا باستكمال الحوار مع الأخوة في حماس، رغم حديث أولي جرى وأبدوا تفهماً كبيراً... صحيح التعهد يتصل بالقوى المتواجدة داخل المخيم لكن منطقة جنين كلها يحسم موقفها مخيم جنين. الأخ قدورة موسى بصفته أمين سر حركة فتح في إقليم جنين متفق معنا تماماً، وكان على الدوام يقول ما تتفقون عليه أنا معه وملتزم به.

كيف كنتم تقومون بهذا الدور المزدوج، من ناحية تقومون أنتم كحركة فتح أو الأصح كتائب شهداء الأقصى بعمليات داخل الخط الأخضر ومن ناحية ثانية مطلوب منكم إقناع الفصائل بتحرير تعهّد كما ذكرت... السؤال هل قمتم بتبني هذا الموقف قبل ذلك وقدمتم تعهّداً أيضاً للرئيس عرفات؟

نحن أولاً عندما نتحدث مع الأخ مروان أو الرئيس أتحدث بصفتي التنظيمية وليس كجهاز عسكري، وأنا مسؤول في شبيبة فتح أتابع الطلبة في الجامعات والعلاقات الدولية .. لكن كتائب شهداء الأقصى كانوا يتفهمون حتى بدون الحوار من الظروف السياسية ويقدّرون الموقف... وضمنياً وبدون أن يقدّموا كتاباً خطياً كانوا ملتزمين بموقف الحركة العام، وفي نفس الوقت لا يمكنهم تقديم شيء خطي لأنهم سيضعون حركة فتح بوضع محرج، حيث جرى جدل حول الكتائب إذا كانت شرعية أو غير شرعية، وهذا الموضوع طرح على الرئيس لإخراج الكتائب خارج الشرعية، وعلى ما أذكر أن حكم بلعاوي طالب بحل الكتائب، وكان رد الأخ مروان في هذا الاجتماع بأن الكتائب لم تشكّل بقرار من حركة فتح، وبالتالي لا يمكن حلها بقرار ... وأننا لم نشكّلها سوياً أنا وأنت (والحديث موجه لحكم بلعاوي) حتى نحلّها، وكتائب شهداء الأقصى لم تشكّل من قبل الحركة، وبالتالي ليس لأحد الحق بحلّها. وفعلاً القرار استمر وبعدها سمعنا محمد رشيد (خالد سلام) على الفضائيات يتغنى بكتائب شهداء الأقصى وبشهداء كتائب شهداء الأقصى وبعمليات كتائب شهداء الأقصى وأبطال كتائب شهداء الأقصى. وخالد إسلام الذي كان ضد الكتائب ويطالب بحلها أصبح يتغنى بهذه الكتائب ... وأنا أعتبر بأن حركة فتح مرت بمحطات وانطلاقات مهمة، والانطلاقة الثالثة لهذه الحركة كانت في انتفاضة الأقصى عندما كانت الانطلاقة الأولى العام ٦٥ والثانية العام ٦٧ بعد معركة الكرامة... هذه الانطلاقة الثالثة بعد أوسلو الذي أوقع حركة فتح بحيرة كبيرة جداً من أمرها أمام السؤال إلى أين نحن متجهون؟ إلى أن جاءت كتائب شهداء الأقصى واستطاعت أن تثبت وجودها في الساحة الفلسطينية، وأعادت الاعتبار والانتباه لحركة فتح ولريادتها وقيادتها للشارع الفلسطيني.

مرة أخرى، أريد أن أسأل عن حالة الانفصام التي عشتم في كتائب شهداء الأقصى بصفتكم أعضاء في حركة فتح من جهة، تقومون بعمليات مختلف عليها، ومن جهة ثانية مطالبون بإقناع الفصائل بأن تتوقف عن هذه العمليات وتقدّم تعهّداً خطياً، ومن جهة ثالثة تفشلون محاولات السلطة اعتقال المطلوبين داخل المخيم... إلى أي مدى تمكّنتم من التعايش مع هذه التناقضات، وتمكّنتم أيضاً من لعب الدور الموحّد للقوى؟

سأبدأ بإجابتي من منطق العدو الصهيوني الذي يعزّي بنفسه اجتياحه للمخيم هو لوجود الوحدة الوطنية والتداخل الحاصل بين القوى المركزية داخل المخيم لدرجة أنهم لم يحقّقوا مع المناضلين لأي تنظيم هم تابعون... والأمر الثاني الذي أجيبك من خلاله على سؤالك هو أقوال المعارضة الفلسطينية في الجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية، سواء من خلال الحديث المباشر معنا أو الرسائل التي بعثوا بها لنا، أو حديثهم على الفضائيات آخرهم الأخ خالد مشعل الذي ذكر اسمي بالتحديد وتحدّث عن دوري الكبير بالوحدة الوطنية داخل المخيم ومعي باقي الشباب، وتحديداً كحركة فتح، وهذا بالطبع يختلف عن كوننا في الكتائب، فقد شكّلنا "المنطقة الوسطى للتنظيمات"، أي الوسيط بينها، وبحثنا عن الحلول الأمثل بين مواقف الفصائل، وكنا دوماً الفاصل بالإشكالات والخلافات بين التنظيمات، وخصوصاً بين حماس والجهاد الإسلامي بمواجهتنا مع السلطة الوطنية عند اعتقال مناضلين. كنا دوماً نقول للتنظيمات أنتم إبقوا جانباً، ونحن كحركة فتح سنتصدى لهذا الموضوع حتى لا يعتبروا المقاومة في مخيم جنين وكأنها بإيعاز من إيران أو سوريا أو غيرها، بل بالعكس هي حركة فتح المتواجدة داخل المخيم هي الحركة الرائدة داخله، والتي ستحافظ على المناضلين والمجاهدين داخل مخيم جنين، ولهذا اعتبرنا اعتقال أي مناضل هو مساس بنا جميعاً داخل المخيم. لهذا كان أكبر كم لوجود مطاردين هو داخل المخيم ولم يستطع أحد دخوله واعتقال المناضلين... كانت هناك محاولة واحدة للاعتقال بأمر من حيدر رشيد لأحد شباب الجهاد الإسلامي حيث إتهموا بأنهم أرسلوا أحد الاستشهاديين في ظرف سياسي صعب، وتبين بأن الاستشهادي "إستيتي" لم يكن على علاقة بالجهاد لا من قريب ولا من بعيد. وقد حاولت بعض عناصر السلطة عمل مواجهة كبيرة مع الجهاد الإسلامي لجر المخيم لمعركة للقضاء على المقاومة داخله، وقد كان يقود هذه المحاولة مسؤول كبير في المحافظة، وقد فشلت هذه

المحاولة، وقد أصيب اثنان من أخوتنا، أصيب أحدهم بشلل نصفي وهو مقعد الآن، وما زال موجوداً وصمة عار في وجه هذا المسؤول وأمثاله، وهذا الشاب الآن في مستشفى أبو ريا في رام الله والشاب الثاني موجود في معتقل. وقد أسرنا شرطة من الأجهزة الأمنية التي حضرت للاعتقال وهم مقنّعون ومن ثم أطلقنا سراحهم بعد أن أفشلنا الاعتقال ومحاولة جرّنا لمشكلة. كما كنا مسؤولين عن حراسة وأمن بعض الأخوة داخل المخيم.

عودة للحصار ولمعارك المخيم .. وفق أي منطق عملتم ووزعتم القوات داخل المخيم؟ هل كان هناك تشكيل هرمي قيادي وعسكري؟

حتى نكون صريحين، العملية في المخيم لم تدر بشكل عسكري مئة بالمئة .. كان هناك غرفة عمليات كان يديرها أبو الجندل، حتى أنه كان يعلق في الغرفة، التي هي عبارة عن مكتب له، صورة أبو عمار والعلم الفلسطيني وصور الشهداء من كافة الفصائل، والشباب المقاتلون كانوا يتواجدون بنفس البيت .. وزع أبو الجندل المجموعات من المقاتلين وفي كل مجموعة تواجد إثنان أو ثلاثة من الأمن الوطني من أجل الاستفادة من خبرتهم القتالية .. التوزيع كان عبارة عن نصف دائرة في محيط المخيم .. وبالطبع تمت مراعاة الانسجام بين الأفراد عند توزيعهم على مجموعات .. الأخ زياد العامر كان موجوداً مع مجموعته في منطقة خطرة جداً هي منطقة الجابريات .. ومجموعة أخرى تواجدت في جورة الذهب، ومجموعة ثالثة في المنطقة الغربية، وتواجدت أنا وعطا أبو رميلة وبسام الراغب وإبراهيم جبر وكان عملنا سياسياً أكثر منه عسكرياً، وكان دوري ودور الشباب في الاتصال مع أبي الجندل بتوفير الإمدادات من ذخيرة ومقاتلين، وإتصالنا فيما بعد كان عبر شبكة "ميرس" والهواتف المحمولة.

من الذي كان يصدر الأوامر والقرارات للمجموعات، مثلاً بشأن الانسحاب من موقع ما أو القيام بأمر ما، هل كان أبو الجندل كقائد للعمليات أم الفصائل كانت تتدخل؟

قلت لك منذ البداية إن الفصائل تقريباً ألغيت، لكن القرارات كانت تتخذ من المجموعة نفسها ميدانياً بشرط أن تعلمنا بقرارها .. لكن القرارات المركزية

كانت تتخذ من أبي الجندل، إلا أنه في مرحلة من المراحل انقطع الاتصال به بفعل عدم توفر البطاريات، الأمر الذي جعل كل مجموعة تقرّر بنفسها.

حدثنا عن استشهاد أبي الجندل، فهناك أكثر من رواية حول ملابسات استشهاده. ما هي الرواية الحقيقية؟

الرواية الحقيقية والتي تكررت ومن أكثر من مصدر .. نحن سلّمنا أنفسنا في ٢٠٠٢/٤/١١، وهو إستشهد بعد أسرنا بـ ٦ أو ٧ ساعات. وقد كانت معه مجموعة أذكر منهم عبد الحليم عز الدين وما زال على قيد الحياة. الرواية تقول بأنه حاول أن يقطع منطقة الشارع الرئيسي في المخيم لينتقل لمنطقة الساحة، وقد كان موجوداً لوحده في هذه الأثناء ورفض أن يسلّم نفسه .. ولحظة ظهوره على تلّة من الردم أطلقوا عليه رصاصة فأصابته دون أن تقتله فأقترب منه الجنود وسألوه .. من أنت؟ فقال .. أبو محمد .. هذا حسب رواية عجوز تواجدت بالموقع واسمها أم علي عويس التي شاهدت الحدث .. وقد جاء ضباط آخرون فعرفوا أنه أبو الجندل فأطلقوا عليه في وجهه مباشرة .. ويقال أيضاً أنهم التقطوا له صوراً وهو مكبل اليدين وتصور معه الجنود.

أنت تقول إن أم علي عويس شاهدته وهو مصاب، ومن ثم أطلقوا النار عليه، أين كانت إصابته؟

نعم هذا ما شاهدته أم علي، وقالت أنه أصيب في ساقه، ومن ثم أطلقوا على وجهه رصاصتين. وشاهدت الجنود كيف يطلقون النار.

والشاب الذي تواجد مع أبي الجندل ..

لا أعتقد أنه تواجد لحظتها أحد معه .. "والضبع" الذي سلّم نفسه مع مجموعة أبي الجندل، قبل ذلك قال لي بعدها بأيام في السجن بأنه لم يبقَ أحد مع أبي الجندل، والشاب الذي يتحدث عنه الأخوة بأنه تواجد معه لا أعرف عنه شيئاً بتاتاً.

حدثنا عن الساعة الأخيرة لكم قبل أن تسلّموا أنفسكم، أنت والمجموعة التي كانت معك ..

كنا شرقي المخيم أنا ومجموعة كبيرة من المقاتلين كعلاء الصباغ، وزكريا الزبيدي، ونضال التركمان، وعلي كنيري، وسائد طوباسي، وثائر أبو الباسم، وعلاء فريحات، وائل أبو السباع، ومحمد النورسي، وشاب يدعى التيتا، ومحمد طوالبة شقيق محمود طوالبة الشهيد .. قررنا أن نقسّم أنفسنا لمجموعتين، فانتقلت مع مجموعة من المنطقة الشرقية للمنطقة الغربية في حارة الحواشين، ففوجئت بالحاج علي الصفوري والمجموعة التي تواجدت معه فالتقينا مع بعض وأصبحنا ٢٧ مقاتلاً .. في ساعات العصر اتصل بنا شباب من الخارج أي خارج المخيم والحصار، وهذا في يوم٢٠٠٢/٤/١٠.. لكن قبل ذلك أريد أن أروي لك تسلسل الساعات الأخيرة للأحداث .. بدأنا نتنقل من بيت لبيت والجرافات تهدم وتلاحقنا وقد كان انفصل عنا الشيخ رياض بدير من سكان طولكرم الذي دفنته الجرافات بعد أن قرّر البقاء والاستشهاد في المخيم، وأذكر أنه قال لي بأن عمره ٥٧ عاماً وستة شهور وثلاثة أيام وتحدث مع زوجته على النقال وقال لها مازحاً .. ما زلت لم تترمّلي يا أم سيد قطب، حيث يدعى إبنه السيد قطب .. المهم أننا بقينا نتنقل إلى أن وصلنا المكان الذي حوصرنا به، وقد اكتشف الجيش وجودنا هناك وقد حوصرنا من جميع الجهات، القناصة والأباتشي والطائرة الاستكشافية جميعها من حولنا لم نناقش في هذه الأثناء مسألة تسليم أنفسنا، وكنا ما زلنا نبحث عن طريق للخروج من هذا الحصار والوصول لمنطقة أخرى، المهم ونحن نتنقل أصيب الأخ علي أبو السباع، وقد أمسك الشباب بيده فوجدوه مستشهداً فبدأ الشباب يبكون عليه، حتى صرخت بصوت عال بأنه لا مكان للدموع والبكاء الآن علينا أن نستمر .. تناقشنا فيما بيننا وبحثنا عن وسيلة اتصال، فلم نجد، لكني تذكرت بأنه معي "ميرس" كان قد أعطاني إياه الحاج عماد الذي فقد ساعده .. واتصلت بداية بأمين سر حركة فتح قدورة موسى وغسان السعدي الذين كنت أحفظ أرقامهم، وقد أبلغوني بأن المجموعة التي تركناها في المنطقة الشرقية قد سلّمت نفسها، علاء الصباغ ونضال التركمان وغيرهم. عموماً كان هناك خجل وحرج شديد من مناقشة مسألة تسليم

أنفسنا .. وأذكر أنني تناقشت مع كمال الصباغ من حركة حماس ومحمد النورسي الله يرحمه حول مسألة التسليم .. والحاج علي الذي رفض الحديث بهذا الموضوع. كمال الصباغ قال لي .. لماذا يا جمال نقتل الـ ٢٧ جميعاً وما في علينا شيء يذكر يؤدي لسجنة طويلة، وبالتالي الشباب سلّموا أنفسهم في المنطقة الشرقية ولم يبق إلا نحن .. فطرحت مسألة التسليم إلا أن الحاج علي تكلم معي بعصبية بأنه لا يريد أن يسلّم نفسه، وأخ ثان تحدّث بنفس اللهجة .. إلا أن محمد النورسي إستاء جداً من حديثهم واعتبرها مزاودة وتركنا هو ومجموعة من الأخوة، وبعد دقائق عاد الأخوة بدون محمد النورسي وقالوا بأنه استشهد...

المهم أنني بدأت الاتصالات بعد أن تأكدنا أن وضعنا خطير، وقد كان الاتصال الأول الذي أجراه معي أخ من أم الفحم يدعى رسلان محاجنة من مؤسسة "بتسيلم"[٧] .. بعدها تحدث معي شخص يدعى قاسم وهو موظف في القنصلية الأمريكية في القدس، فقال بأنه تم الحديث مع الأمريكان ونسّق الموقف عبر الملحق العسكري في السفارة الذي تحدّث مع الإسرائيليين ليوقفوا العملية والإقتراب منا، وفعلاً تم إيقاف نشاط الجيش من حولنا... بعدها تحدثت مع الجزيرة... محطة الجزيرة وشرحت الوضع الدقيق الذي نحن فيه ومن إتّصلوا بي من محطة أبو ظبي، وشرحت لهم الموقف ومحطات أخرى لا أذكرها جميعها... بعدها تحدث معنا جبريل الرجوب وشرحت له الوضع وتحدث معي بعدها أمين الهندي مدير المخابرات العامة، وكذلك تحدث معي الأخ فيصل أبو شرخ والجميع شرحت لهم الوضع وأكدوا لنا من جانبهم بأن هناك وعودات بوقف العمليات وتقدّم الجيش... من ثم تحدّث معي الأخ صائب عريقات وقال بأنهم تحدّثوا مع سولانا ومع زيني كي يوقفوا العمليات العسكرية للجيش الإسرائيلي، لكنه قال بأنه لا يضمن حياتنا لأن الإسرائيليين لا يمكن الوثوق بهم .. ومن ثم تحدّث معي الناطق الرسمي باسم الجيش الإسرائيلي وقال لي .. أخ جمال أرجو منك أن تسلم نفسك أنت والمجموعة التي معك وتم الحوار بيني وبينه حول مبادرة حزب الله حول استبدالنا، فقال هذا كلام لن يتم، وإن لم تسلّموا أنفسكم خلال

---

٧ مؤسسة **بتسيلم** لحقوق الإنسان، مقربة من حركة ميرتس.

فترة زمنية سنهدم المكان عليكم بالكامل. بعدها كنا نتحاور معه بهدف كسب الوقت من قبلنا حول موضوع نزع ملابسنا عند التسليم، وقد تحدّث معي قائد الحملة الإسرائيلية وقال لي ... أخ جمال أنا الكابتن ألون وعليكم أن تسلّموا أنفسكم بعد نزع الملابس قلت له ما في مجال نهائياً أن ننزع ملابسنا وسنخرج بالملابس وإفعلوا بنا ما تريدون، وفعلاً صعدت على رأس التلة وقفزت إلى الأسفل وبدأ شاب من المجموعة وإسمه "الزعبور" يتحدث معهم باللغة العبرية... وتقدّمنا إلى جهة الجيش وبدون أن نرفع أيدينا فقط رفعنا بلايزنا إلى الأعلى، وتقدمنا بطابور وبدأ الكابتن ألون ينادي أين جمال حويل فقلت له أنا جمال... فقال بسخرية... هل أنت جمال؟ فكرتك أضخم وأكبر مما أنت في الواقع... وعمل في يده حركة كتحية وسلّم علي وأخذ ذراعي وسار بي إلى الأمام وقال لي وهو يأخذني على إنفراد... أخ جمال لو كنت أنا مكان شارون لما فعلت هذا كله... وأنا أحب أن نعيش معكم بسلام وأنا متأكد بأنه سيأتي يوم أن نجلس معاً على طاولة مفاوضات واحدة لنصل لحل دولتين لشعبين... فقلت له بأنكم لم تحققوا نصراً، ولو كنتم مقاتلين فعلاً لما فعلتم ما فعلتموه في المخيم من هدم ودمار... وأظهر لي في سلوكه بعض اللطف. ولاحقاً الشباب اعتبروا التحية التي أدّاها بأنها تحية عسكرية لي وللشباب الذين معي ... وعموماً سمح لي بالنظر إلى الدمار في المخيم وتأملت بمرارة أكوام الردم ... بعدها تم اقتيادنا بطابور إلى ناقلة الأفراد وهم يصورونا وقد أخذونا للجامع، وهناك تمت مناداتي والحاج علي وإياد السلفيتي وضربونا بالبنادق بشكل وحشي جداً، من ثم نقلنا إلى معسكر سالم، وبعد ساعات كنا في قسم تحقيق الجلمة قريباً من مدينة حيفا، وكانت هذه بداية رحلة الاعتقال.

شهادة يحيى محمد عبد الرحمن الزبيدي

شهادة يحيى محمد عبد الرحمن الزبيدي

أنا يحيى محمد عبد الرحمن الزبيدي من سكان مخيم جنين، أنهيت مرحلة الدراسة الثانوية والتحقت بجهاز المخابرات العامة بقيادة توفيق الطيراوي، وعملت في إطار هذا الجهاز مدة ثلاث سنوات، إضافة إلى ذلك عملت فترة كعامل عمار. حالتي الاجتماعية، أعزب، سبق واعتقلت مرة واحدة لمدة شهر وأطلق سراحي بكفالة مالية وهذا اعتقالي الثاني.

هناك تعارض بين عملك في المخابرات تحديداً وانتمائك لأحد الأجهزة العسكرية المقاومة، كيف استطعت التغلب على هذا التعارض؟

في مناطق السلطة الفلسطينية عامة، ومن تجربتي بجهاز الأمن هناك متابعة لأي شخص يعمل ضمن الأطر العسكرية تحديداً التابعة لقوى المعارضة، وقد عملت في هذا الجهاز من أجل حفظ تحركنا كمقاومة وللحفاظ على أسلحتنا من المصادرة، وقد عملت أنا فعلاً في المخابرات ولكن ولائي كان لحركة الجهاد الإسلامي، ولم أكن منتمياً إطلاقاً للمخابرات. وبهذا أستطيع أن أقول إننا كنا نعمل في الجهاز العسكري للجهاد الإسلامي بشكل سري وفي الظاهر الكل يعرف بأنني أعمل في المخابرات، الأمر الذي يحميني ويحمي آخرين من الاعتقال من قبل السلطة وهذا الترتيب تم مع الجهاد في اللقاءات السرية التي كنا نعقدها.

ألم تقم المخابرات بمراجعتك على تحركاتك وعلاقاتك؟

فعلاً، لقد تمّت مراجعتي أكثر من مرة ووجّهوا لي أسئلة مثل لماذا تتواجد مع محمود طوالبة؟ أو الحاج علي وثابت المرداوي وغيرهم. وقد كانت هذه المعلومات تصلهم عن طريق تقارير يقدّمها أشخاص، وقد حافظت على إنكار أي اتهام وأكّدت دوماً أني أتحدّث مع الأشخاص الذين أسأل عنهم بحكم صداقة تجمعني بهم منذ فترة الدراسة، وكنت أرفض أي طلب يطلبونه مني مثل مراقبة أشخاص معينين، أو أن أشارك باعتقال أشخاص مناضلين .. كنت أرفض ذلك دوماً.

قبل الحصار الأخير كانت هناك معلومات عن اجتياح إسرائيلي، وتحدّث الكثيرون عن تنسيق فصائلي واستعداد لهذا الحصار . كيف تجلّى هذا التنسيق بصورة عامة؟ وهل كان ذلك على مستوى المخيم فقط، أم كان هناك تنسيق أعم وأوسع من المتواجدين في المخيم .. وكيف جهزتم أنفسكم للحصار؟

لقد سمعنا أن هناك أخباراً عن اجتياح للمخيم، وعلى ضوء هذه الأخبار التقى الجميع من المقاومين من مختلف الأطر على مستوى المخيم وبدأوا بالتنسيق والتحضير معاً من أجل صد ومواجهة هذا الاجتياح .. وبدأوا التوزيع والعمل وفق الحاجة وليس وفق أي اعتبار تنظيمي، أي وزع المقاتلون على المحاور وفق الحاجة والضرورة مع الأخذ برغبة المقاتلين ممن يشعرون بأنهم يعرفون المنطقة التي يختارون أفضل من المناطق الأخرى .. وقد تمثّلت خطتنا للمواجهة بأن نتوزع بداية على جميع محاور المخيم والحفاظ على حارة الحواشين التي قدّرنا بأنها ستكون بالنهاية مقبرة لنا ولهم، وقد كانت حارة الحواشين من أصغر الحارات الموجودة في المخيم، وبالتالي سيكون تجمّع المقاتلين بها، وقد بدأت جميع القوى بوضع إمكانياتها من عبوات وأسلحه وتمويل .. الخ.

التقسيم الذي تحدثت عنه كيف تم في الواقع؟

أولاً الشباب المسلّحون موجودون داخل المخيم، إضافة للمقاومين الذين فرّوا من دوامهم على حواجز السلطة وقدموا للمخيم وعدد آخر من خارج المخيم .. وأذكر هنا مقاوماً كبير السن من منطقة طولكرم قدم للمخيم وقال أنه يريد أن

يشترك بالدفاع وقد استشهد .. وكما قلت لك تم التقسيم على قاعدة الحاجة والانسجام بين كل مجموعة مؤلفة من خمسة أفراد، وتم الاتفاق على أن يكون أبو الجندل هو القائد العسكري لهذه العملية وأؤكد على أن التقسيم لم يكن على أساس فصائلي، وأذكر أننا وعبر قناة الجزيرة أعلنا عن حل الفصائل داخل المخيم، وأن الجميع الآن مقاتل من أجل الدفاع عن شرف هذه الأمة.

هل كان هناك لكل مجموعة مسؤول؟

لا، لقد تم تقسيم المجموعات على المحاور والبيوت كل خمسة معاً بدون أن يكون لهم مسؤول ومن كان يحمل "البلفون" هو الذي كان يرد على مكالمات أبو الجندل، أو يتصل به ويبلغه بالحاجة مثلاً إلى مقاتلين.

هل كان هناك استشهاديون داخل المخيم أثناء الحصار؟

نعم، كان هناك استشهاديون، وكان جزء منهم يلف حول خصره الحزام، لكن لا أحد يعلم ما حصل بالضبط، حيث أن جزءاً منهم قد تم اعتقاله، وجزءاً آخر لم يستطع تفجير الحزام بحكم تواجده بين السكان، وجزءاً حاول أن يفجّر نفسه لكنه لم ينجح، ولهذا لم يستطع أي من الاستشهاديين تفجير نفسه، وقد كان محمود طوالبة يحمل هو الآخر حزاماً لكنه لم يفجّره لأن الجنود لم يصلوا إليه مشاة.

عندما كان يجتمع مسؤولو الفصائل، ما هي آلية اتخاذ القرار التي اعتمدوها لحسم قرار ومسألة معينة؟

لقد كان يقترح أي مقاتل اقتراحاً محدّداً، وإذا تم الإجماع عليه يتم تنفيذه، وقد أثر علينا جميعاً سقوط الشهداء، وتحديداً مقاتلين معينين كان لهم أثر ودور في توحيد الرأي ..

مثل من؟

مثل زياد عامر، حيث كان له أثر في نفوسنا، إلا أن استشهاده أيضاً شحذ همم الشباب ومعنوياتهم حتى أن هنالك شباباً أرادوا الخروج من المخيم، وبعد استشهاد زياد حسموا موقفهم بالبقاء واستمرار المقاومة.

من هو زياد عامر؟

إنه أحد نشطاء كتائب الأقصى المحبوبين لدى المقاتلين، حيث اشترك زياد في الانتفاضة الأولى ودخل السجن وبقي فيه سبع سنوات، وبمجرد أن أطلق سراحه عاد إلى خندق المقاومة ولم يساوم على حقوق شعبه، وأثناء الاجتياح وقبل استشهاده كان له حضور قوي ودور كبير برفع معنويات المقاتلين.

هل كان معكم ذخيرة وسلاح كافيين أثناء الاجتياح؟

نعم كان هناك ذخيرة وسلاح خفيف مثل بنادق كلاشنيكوف و M16 وغيرها.

كيف كان تعاطي الأهالي مع المقاتلين، خصوصاً وأنكم كنتم تهدمون جدران البيوت للمرور والتنقّل عبر الثغرات؟

لقد كان هناك تعاطي إيجابي من الأغلبية العظمى من الأهالي، حيث كنا ندخل أي منزل ونفتح ثغرة وقد كان هناك شعور عام لدى الجميع بأن الجيش لن يدخل المخيم إلا في حالة واحدة هي هدم المخيم وهذا ما حصل.

هل هناك أمثلة عن عائلات أقدمت على المساعدة؟

أقرب مثال عائلتي أنا مثلاً، حيث أن منزلنا يقع في منطقة مرتفعة فقمنا بنقل أهلي إلى بيت عمي المجاور لبيتنا وأصبح البيت مسكناً وقاعدة مراقبة للمقاتلين، وكذلك الأمر في حارة الدمج، حيث أن كل الحارة قدّمت المساعدة والعون للمقاتلين حتى أن نساء وفتيات الحارة شاركن بالمراقبة للمقاتلين، وقد برزت هذه الحارة كأكثر الحارات تعاطياً وتقديماً للمساعدة، حتى أن أهل الحارة شاركوا بفتح الثغرات بجدران منازلهم ليستطيع المقاتلون التنقّل.

لقد ادّعى الإسرائيليون أنكم أجبرتم المدنيين على البقاء داخل المخيم حتى تحتموا بهم، ما رأيك بذلك؟

بداية، نحن لم نجبر أحداً على البقاء، بل إن الموقف كان من الأهالي أنفسهم ولم يخرج من المخيم في بداية الحصار أكثر من ١٠٠ شخص من كبار

السن والأطفال، وكل إنسان لديه كرامة وذرة وطنية تمسك ببيته وأرضه ورفض الخروج في حينه.

متى بدأ الأهالي بالخروج؟

تقريباً في اليوم الخامس أو السادس بدأ الأهالي بالخروج من المناطق التي سيطر عليها الجيش، حيث اعتقل المصابين، وقام بنقل الأطفال وصغار السن إلى مدينة جنين والقرى المجاورة، وقد حاولوا دعوة الأهالي من بداية الاجتياح إلى الخروج لكن دعوتهم جوبهت برفض الأهالي.

أتود أن تذكر مقاتلين محددين استشهدوا ولهم مآثر تود ذكرها؟

نعم إني أذكر نضال النوباني إبن مخيم جنين الذي عرف عنه أنه مقاتل شرس، حيث استشهد هو وأخوه واثنان من الأخوة أيضاً، وهم أمجد الفايد ومحمد الفايد، حيث كان يعمل نضال في الأمن الوقائي، وقبل الاجتياح طلب منهم سلاح فزودوه بكلاشين معطوب ويعمل بصورة رديئة، وقد أثر هذا التصرف عليه كثيراً على اعتبار أنهم (السلطة) قد قاموا بإخراج السلاح إلى مناطق خارج المدينة .. استشهد نضال في اليوم التاسع للاجتياح، وقد وجد معه حزام من الرصاص يعود للجيش، كان قد استطاع أن يستولي عليه وكذلك ميداليات[٨] لجنود الاحتلال الذين قتلهم في الاشتباك. وقد سمعت من المقاتلين كيف رمى الكلاشين المعطوب، وقد رأيته لاحقاً يطلب من هذا المقاتل أو ذاك سلاحه ليستخدمه ويطلق النار منه على الجيش الإسرائيلي ويعيده لصاحبه، إلى أن استطاع أن يحصل على بندقية خاصة به.

حدثنا عن الشهيد ناصر جرار وعن إصابته الأولى.

لقد كانت إصابته الأولى قبل سنة تقريباً، حيث كان ذلك على شارع قباطية أثناء محاولتنا زرع عبوات ناسفة على الطريق الالتفافي، حيث قمنا بمد أسلاك عبوتين، وذهب ناصر لشبك السلك بالعبوات الأولى والثانية، وعلى ما يبدو كان هناك خلل، حيث وكما أعتقد أنه كانت شحنة كهربائية في

---

٨ المقصود هو الأقراص المعدنية التي يحملها الجنود وعليها أرقامهم.

السلك وبمجرد قيامه بإيصاله، انفجرت العبوتان الأولى والثانية الموجهتان باتجاه الموقع الذي يقف به ناصر. وقد أصبنا الأربعة جراء الانفجار وقد هربنا بإتجاه السيارة أنا ومقاتل آخر. واعتقدنا أن ناصر استشهد واتفقنا أن نذهب للمستشفى ونبعث مجموعة لتحضر جثة ناصر، وتحركنا لكن سائق السيارة لم يستطع قيادتها حيث أصيب بعمى مؤقت جراء الانفجار، فوجدنا شخصاً آخر أوصلنا للمستشفى وأبلغنا الشباب عن ناصر، فذهبوا لإحضار جثته فوجدوه لم يستشهد لكن يده وساقه قد أصيبا بشكل بالغ، وقد تم بترهما لاحقاً. وقد نجح بإخفاء مسدسه تحت رأسه بعد أن دفنه في التراب ووجدوه يقرأ آيات من القرآن الكريم وبوعيه الكامل إلى درجة أنه رفض أن يحملوه بأيديهم وتذكر بأن في مكان قريب هناك لوح زينكو طلب من الشباب أن يحضروه ويضعوه عليه كي يحملوه .. وعندما وصل المستشفى تحدث مع الأطباء وطلب منهم أن لا يعالجوا إحدى ساقيه بل يشرعوا بعلاج الثانية لأن الأولى يشعر بأنها جيدة وصالحة رغم الإصابة، وقد كانت معنوياته عالية جداً يسخر من الإصابة ويمد الشباب من حوله بالمعنويات .. قبل الاجتياح الأخير قطعوا الساق الثانية بعد أن اقتنع بأنها لا تفيده بشيء، وعندما بدأ الاجتياح الأخير حضر إلى المخيم الأمر الذي ساهم كثيراً برفع معنويات المقاتلين، وقد ضغطوا عليه كي يخرج من المخيم حيث أراد البقاء ليشارك في القتال، وقد اقتنع أن يبقى في أطراف المخيم كي يظل على إتصال بنا، ولاحقاً كما تعرفون استشهد في طوباس بعد أن هدم الجيش الإسرائيلي البيت عليه.

وماذا عن دور النساء والأشبال؟

لقد كان للمرأة في المخيم دور كبير جداً تركّز على إمداد المقاتلين بالغذاء والدواء والماء، وكذلك مراقبة تحركات الجيش، أما بخصوص الأشبال فقد كان لهم دور أيضاً. فقد برزوا في إلقاء العبوات التي كانوا يحملونها في حقائبهم المدرسية. وقد استشهد شبل أذكره اسمه عبد الكريم السعدي الذي طلب بإلحاح أكثر من مرة أن يفجر نفسه. وكذلك أذكر الشبل شادي النوباني الذي كان يطلب دوماً أن نزوده بعبوة أو سلاح أو أن يقوم بعملية استشهادية، وقد رفضنا ذلك أكثر من مرة. وأذكر مرة كنا عندهم في البيت

أنا وشقيقه ومعنا بندقية فطلب أن يراها وأن يأخذها بجولة في المخيم ولم يعد ووجدناه لاحقاً مع المقاتلين.

إلى ماذا تعزي وجود ظاهرة الاستشهاديين في مخيم جنين بهذه الكثافة والغزارة؟

أولاً أعزيه إلى الإيمان بالله عز وجل، وثانياً رغبة الشباب بالانتقام، فأكثر من مئة شهيد في المخيم من صديق أو أخ يريد أن ينتقم له ويريد أن يجاهد ويستشهد.

في المناطق الأخرى هناك أناس متدينون، فلماذا جنين ومخيم جنين بالذات؟

لا أعرف .. إيمانهم زاد .. هناك ناس لا يجيدون إطلاق النار مثلاً ويريدون أن يقوموا بعملية فكانوا يقومون بعمليات استشهادية، وأؤكد أنه لم يقم أحد بالإستشهاد كرهاً بالحياة، بل انتقاماً للشهداء وإيمان بالله عز وجل، كما أن الاستشهادي في هذه الانتفاضة ليس كما الاستشهادي في فترة يحيى عياش. قبل كان يتم إقناع الشاب وتعبئته عقائدياً. في هذه الانتفاضة لا حاجة لذلك، لا حاجة لإنسان يفهم بالأمور الدينية، أنت بحاجة فقط لإنسان يوصلك لعبوة ناسفة، لهذا وجدت الجميع يجنّد وينزل استشهاديين.

تقول إن الاستشهاديين يريدون أن يأخذوا بالثأر، لكن لماذا غالبيتهم صغار السن؟

لقد كان غالبية المطلوبين متواجدين في مخيم جنين، حيث كان اتفاق مع السلطة على أن لا يتم اعتقال أي مطلوب من داخل المخيم، وهذا على ما أظن أثر بشكل كبير على وجود ظاهرة الاستشهاديين بهذا المخيم. وعموماً وبشكل أساسي أعزي هذه الظاهرة للإيمان والحماس الكبير والعالي لدى الشباب للشهادة، خاصة وهم يرون الشهداء وأقول لك أثناء زيارتنا لبيوت العزاء في الآونة الأخيرة لم نكن نذهب للتعزية، بل كان دارجاً وبشكل عادي جداً أن تقول لأهل الشهيد مبروك وعقبال عند الباقين. صدقني كان هناك أشبال يأتون ويبكون بحرارة، طالبين حزاماً ناسفاً يريدون الشهادة، أنظر الآن لعدد الاستشهاديين الذين تم اعتقالهم ومتواجدين معنا داخل السجن.

هل لك علم باتصالات جرت معكم للخروج من المخيم وعدم تعريضه للاجتياح والدمار؟

أذكر بأنه قد جرى اتصال من أحمد عبد الرحمن مع جمال حويل وطلب منه أن يتم إخراج المطلوبين من المخيم وإخفاؤهم حتى تمر هذه المرحلة، وقد خرج ثلاثة فقط، ولم يكن لهم تأثير، ولكن الذين خرجوا استشهدوا قبل الذين بقوا، بل نجونا رغم الحصار، فعلى سبيل المثال حركة حماس أخرجت قيس عدوان من المخيم كي يواصل النضال وينتقم للشهداء، لكنه استشهد قبلهم .. لقد ركّزت السلطة بالدعوة للخروج، وهناك بعض الشباب الذين قاموا بدعوة الشباب من داخل المخيم للخروج، إلا أن المقاتلين حسموا خيارهم إما النصر أو الشهادة.

هل كنتم على اتصال بمواقع تشهد اجتياحات في مناطق أخرى؟

نعم كنا على اتصال مع رام الله وطولكرم ونابلس، وقد حاول المقاتلون نقل تجربتنا من الاجتياحات السابقة إلى هذه المناطق، إلا أن سقوط رام الله ودون مقاومة قد أثّر علينا جميعاً وتحديداً عندما شاهدنا الأسلحة التي تم العثور عليها .. في المخيم كنا جاهزين على أغلب الصعد حتى الكهرباء أحضرنا موتورين إلى المخيم وسماعات كبيرة تم تثبيتها على أسطح المنازل، وقد شكّلت عاملاً مهماً برفع المعنويات، حيث كان الشباب يتحدثون عبرها مع الجميع ويستذكرون الشهداء ويكبرون. وأذكر كيف بثوا عبر المكبرات عن فتاة فجرت نفسها في الجيش في حارة الدمج، حيث أثرت هذه الأمور على المعنويات إيجابياً .. لاحقاً تبين بأنه لم يكن هناك فتاة وإنما كمين نصبه الشباب لقوة مشاة إسرائيلية.

ما هو أكثر شيء أثر على معنوياتكم؟

في الفترة الأخيرة من الحصار كان الحديث عن أن الجيش بدأ ينسحب، أو إستذكار الشهداء، وأذكر هنا أن أحد الشباب قد أمسك مكبر الصوت وبدأ يتحدث بالعبرية مع الجنود وقال .. تعليمات .. تعليمات وعندها توقف كل شيء من قصف وإطلاق نار وقد ظن الجيش أن الصوت من قبل قيادتهم ..

وأكمل وقال لهم، أنتم في مخيم الاستشهاديين فهل تظنون أنكم سوف تستطيعون اقتحامه .. على الفور بدأ إطلاق النار بكل إتجاه وجن جنون الجنود وقد حاولوا أن يصلوا إلى مكبرات الصوت لكنهم لم يستطيعوا ذلك.

أين تواجدت في المخيم أثناء الحصار؟

في حارة الحواشين، وفي الأيام الأخيرة كنت في بيت على أطراف حارة الحواشين ببيت النوباني، وقد تجمعنا عندهم وبدأ الجيش بالقصف وقد قصف المنزل فتجمعنا جزء في الحمام وجزء في زاوية إحدى الغرف، وعندما أحرقوا الطابق الثاني من البيت أخرجنا العائلة ونحن خرجنا بعدهم.

ألم تحاولوا إبلاغ الجيش بأن في البيت مدنيين من نساء وأطفال؟

للأسف، حتى لو حاولت لا أحد يسمعك، إطلاق النار كثيف وصوت الطائرة يمنع ذلك.

في أي يوم اعتقلت؟ وأين؟

اعتقلت باليوم الحادي عشر مع مجموعة من الشباب، وقد كان معنا إمرأة مصابة وكانت الجرافة تهدم البيت وقد قدرنا بأننا المجموعة الأخيرة، حيث انقطع اتصالنا مع باقي المجموعات، وهذا البيت كان تابعاً لرشاد النورسي، فقد قررنا بفترة ما بعد الظهر أن نسلم أنفسنا فأخرجنا بداية العائلة حتى لا يطلقوا علينا النار وعلى المنزل، وفعلاً خرجت العائلة ونحن بعدها وقد فصلونا عن بعض، وطلبوا منا خلع ملابسنا وأجروا لنا تفتيشاً حتى المرأة المصابة طلبوا منا أن ننقلها بالحمّالة وأيدينا مقيدة وأن ننفض الغطاء عنها خوفاً من أن تكون مفخخة .. وقد بقيت هذه المرأة حتى الساعة ١٢ ليلاً وتركناها هناك ولا أعلم ماذا حصل لها حيث نقلنا لمعسكر سالم.

بالنظر للوراء هل تعتقد بأن بقاءكم في المخيم كان قراراً صائباً؟

أرى أنه كان لزاماً علينا أن نبقى في المخيم حتى ولو تم تدميره، فنحن فقدنا أعزاء كثيرين، فأنا فقدت أخي طه الزبيدي، وأمي استشهدت سميرة الزبيدي وإبن عمتي استشهد نضال أبو شادوف، وهناك الكثير من الأصدقاء، وأنا

لا أرى خللاً في عملية المقاومة، حيث توقعنا أن يقوموا بالاقتحام بالدبابات والطائرات والمشاة، لكننا لم نتوقع الجرافات.

كيف ترى معنويات الجندي الإسرائيلي؟

في الاجتياحات السابقة كنا نسمع قصصاً كثيرة عن جبن الجندي الإسرائيلي وعن صراخه وبكائه، بل وقد سمعهم الأهالي كيف يتحدثون عن بعض بأن المجموعة كذا دخلت إلى مكان خطير وسيأكلونها[٩] هناك. وفي هذا الاجتياح تأكدت لي الصورة، فمنهم من لم يغادر دبابته ولم يواجهونا وجهاً لوجه على الأرض.

٩ سيأكلونها بالعبرية تعني ستقع عليهم مصيبة.

شهادة عبد الجبار خليل خباص

شهادة عبد الجبار خليل خباص

من جلقموس متزوج ولي طفلة. عمري ٢٥ عاماً. أنهيت الصف العاشر. أنتمي لكتائب عز الدين القسام. عملت حتى لحظة اعتقالي في جهاز الأمن الوطني مدة ٦ سنوات برتبة عريف.

في البداية سأتحدث عن كيفية الاستعدادات قبل الاجتياح الأخير للمخيم حيث كان هناك عمل متواصل ميداني قام عليه المستويين السياسي والعسكري في المخيم، وقد كان هناك حماس لدى جميع المقاومين منذ اجتياح رام الله، والبدء في تجهيز أنفسنا، حيث تم زرع عبوات على مداخل المخيم وبدأت حملة رفع المعنويات لدى المقاتلين والأهالي.

أنت تتحدث عن الاجتياح الأخير؟

نعم، والذي كان بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٣١، وقد اشتركنا ٢٧ عسكرياً من قوات الأمن الوطني بالمقاومة والدفاع عن المخيم بقيادة الشهيد أبو الجندل، حيث قدمنا معه للمخيم، وقد كان أبو الجندل هو الذي يقوم بتوزيع المقاومين على المحاور وهذا بحكم قدراته العسكرية.

ما هي الرتبة العسكرية التي يحملها أبو الجندل؟

رتبة ملازم أول، وهو كما قلت لك الذي قاد عملية توزيع المقاتلين، وقد كانت مختلف القيادات للأطر العسكرية تتصل بأبو الجندل لمشاورته في مواضيع العمل والتجهيزات.

هل هذا يعني بأن أبو الجندل قد قام بتوزيعكم ليس كأمن وطني بل كمقاتلين، حيث كما قلت كان على اتصال مع قادة القوى الموجودة؟

نعم، وقد قام بتوزيعنا على أغلب المحاور، حيث كنت تجد ٣-٥ عساكر في كل موقع، وقد كان دعمنا بالذخائر وغيره من قبل القوى الوطنية والإسلامية. وبعد ان بدأ الاجتياح لرام الله حتى بدأت عملية زرع العبوات في مختلف مداخل المخيم، حيث كان جزء من هذه العبوات مضاد للأفراد وآخر مضاد للدروع. وقد تم التركيز على مراقبة كافة العبوات، وفعلاً قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بمحاصرة جنين والمخيم وقد تدخلوا وتركزوا في منطقة الجابريات وحوش السعادة وشارع نابلس ويوم ٢٠٠٢/٣/٣١ الساعة الثانية والنصف صباحاً بدأت محاولتهم لاقتحام المخيم وقد كانت المقاومة مستعدة لذلك وبدأت المقاومة . . .

من أين حاولوا الدخول أولاً؟

في الليلة الأولى حاولت قوات خاصة أن تتسلل من منطقة الجابريات إلى المخيم، وقد تم كشفهم وقامت مجموعة بتفجير عبوات ضد القوة وإطلاق النار عليها، وقد سقط قتلى وجرحى في صفوف القوات الخاصة الإسرائيلية التي حاولت التسلل.

هل تذكر مَن مِن المقاتلين كان في هذا الكمين؟

أذكر أن مقاتلاً اسمه عماد أبو الفضل (استشهد) كان من المشاركين في الكمين، وقد استولى المقاومون على عدة قطع رشاشة متوسطة، منها رشاش (نيكف). بعد هذا الاشتباك تقدمت الدبابات باتجاه المخيم من حرش السعادة ومن جهة وادي بورقين، وأثناء تقدمهم لأطراف المخيم تم تفجير عبوات

ناسفة ضد الدبابات، وكانت مقاومة عنيفة جداً، مما اضطرهم للتراجع، وقد استمر الاشتباك حتى الساعة ٣ عصراً من اليوم التالي، ولم تستطع القوات الإسرائيلية السيطرة على أي نقطة بأطراف المخيم. وبعد ذلك استطاعوا أن يسيطروا على نقطة تحت الجابريات، وهي نقطة مطلّة على المخيم، وقد أعطت هذه النقطة تغطية للجيش، حيث استطاع أن يتركز في نقاط أخرى على أطراف المخيم، وهذا كان في اليوم الرابع تقريباً، استمر الحصار وتخلّله أيضاً قصف بقذائف الدبابات والرشاشات الثقيلة كمحاولة لكسر المقاومة وإرهاق المقاتلين وفرض الاستسلام عليهم، واستمر هذا الوضع يومين، وخلال ذلك استطاع المقاتلون رصد مواقع الجيش أثناء النهار، وبدأوا مهاجمتهم لهذه المواقع أثناء الليل، حيث لم يكن المقاومون يستطيعون الوصول إلى هذه المناطق نهاراً، وقد استطاعوا اقتحام عدة مواقع تركز فيها الجيش واستطاعوا قتل عدد من الجنود في هذه المواقع.

وفي اليوم الرابع وعندما اكتشفوا حجم المقاومة وعدم قدرتهم على التقدم حضرت طائرة "أباتشي" وبدأت بإطلاق النيران بغزارة وبشكل عشوائي مما أدى إلى حالة إرباك في صفوف المقاومين. وقد بدأت أثناء ذلك قوات من المشاة بالتقدم باتجاه بنايات أخرى للسيطرة عليها في المخيم، واستشهد أثناء ذلك أشرف أبو الهيجا، وطارق دراوشة، وزياد عامر وغيرهم. وقد استخدم الجيش الطائرات التي بدأت بالقصف بالصواريخ أثناء الليل، حيث كانت خطة الجيش متمثلة بالقصف بالدبابات والطائرات من الساعة السابعة مساءً حتى الخامسة صباحاً بدون توقف حتى يرهقوننا بدون نوم، وأيضاً كانوا يطلقون صواريخ الهاون من منطقة الجابريات، وعند الفجر يبدأون بالتقدم للسيطرة على نقاط أخرى داخل المخيم. وفي اليوم الخامس انسحب المقاتلون من حارة طوالبة إلى حارة الحواشين والدمج، ولم يستطع الجيش التقدم إلى منطقة الساحة حتى اليوم الخامس، وعندما بدأت الدبابات بالتقدم انفجرت باتجاهها عبوات مما اضطرهم لإحضار الجرافات الكبيرة (D9)، حيث استخدموا الجرافات الصغيرة، حتى اليوم الخامس، وقد كانت العبوات تعطل الدبابات والجرافات الصغيرة وتلحق بها أضراراً جسيمة .. وفي اليوم الخامس عندما أحضروا الجرافات الكبيرة بدأت الأخيرة بإزالة

الحواجز الترابية الموجودة في الشوارع، وتم احتلال الحارة الغربية من قبل الجيش تحت غطاء جوي مكثف، حيث كانت الطائرات تقصف الشوارع وتطلق النيران في كل مكان. وبدأ هدم المنازل في اليوم السادس، حيث كانت الجرافات تهدم المنازل وتشق طرقاً جديدة. وقد قامت الجرافات بهدم الحارات بأكملها لكنها أبقت منزلاً أو إثنين حتى يتمركز بها القناصة لمراقبة الطريق والمداخل الصغيرة للأحياء. وكانوا يطلقون النار على أي جسم يتحرك، وقد استشهد العديد من الشباب وهم يحاولون الانتقال من شارع إلى آخر ومن زقاق إلى زقاق، لكن القناصة كانوا كاشفين كل شيء.

وفي اليوم السابع تقدم المشاة باتجاه حارة الحواشين وحارة الدمج، لكنهم لم يستطيعوا اقتحام هذه الحارات، حيث كانت المقاومة عنيفة وقد اعتمد المقاتلون فكرة التنقل من بيت لآخر من خلال ثغرات في الجدران حتى يستطيعوا الوصول للجيش، وأذكر أن الشهيد أبو الجندل كان يحاول أن يفتح ثغرة في أحد الجدران، وفي نفس الوقت وبنفس البيت كان الجنود يحاولون إحداث ثغرة مقابلة وقد استطاع أبو الجندل أن يتسلل إلى البيت بعد أن فتح ثغرة في الحائط قبل الجنود وأطلق النار عليهم. وأذكر ما حصل في اليوم السادس حيث قام الشهيد محمود طوالبة والشهيد محمود أبو حلوة والشهيد شادي إغبارية بنصب كمين للجيش بحارة الدمج، حيث قتلوا عدّة جنود واستولوا على أسلحتهم، وكان هذا الحادث في بداية الليل، وفي نفس الليلة التي قام بها الجيش بمحاصرة تلك المنطقة المتواجد بها الشباب الثلاثة وحدد البيت الذي هم فيه وقام بقصفه حتى استشهدوا.

في هذه الفترة حاول الجيش اقتحام الحارات بالمشاة، وقد دارت معارك معهم داخل المنازل وجهاً لوجه أثناء النهار حيث لم تستطع الطائرات القصف لوجود جنودهم على الأرض وعلى بعد أمتار، وقد استغل المقاومون هذه الفرصة .. وخلال ذلك كان الجيش قد استطاع تقطيع المخيم إلى اقسام من خلال فتح الشوارع بعد هدم المباني، وإبقاء قناصة يسيطرون عليها وينشرون الموت. وبدأت الدبابات بالتقدم وراء الجرافات بعد أن تم فصل الحارة الغربية عن الحارة الشرقية في اليومين الخامس والسادس، وكذلك فصل في الحارات ذاتها. وفي اليوم السادس بدأ المدنيون بتسليم أنفسهم بعد أن تمت محاصرتهم بشكل محكم، ولم يكن لهم أي مخرج .. وفي اليوم السابع ضغط الجيش على

المقاومة واشتدت المعارك، حيث وصلت ذروتها في هذا اليوم الذي كان يوماً مميزاً .. وهذا بعد أن قدّر الإسرائيليون بأن غالبية المقاومين قد سلّموا أنفسهم.

كم عدد الذين سلموا انفسهم تقريباً؟

تقريباً عشرون مقاتلاً، حيث أن هناك مجموعات قد تم حصارها وفقدت القدرة على الاتصال فلم يكن أمامهم إلا تسليم أنفسهم. وقد كانت أشد أيام المعارك هي اليوم السابع والثامن والتاسع، حيث كما قلت دخل الجنود المشاة وأصبحت المعارك مباشرة، ولم يستطع الطيران التدخل إلا في حالات محددة كان يقصف بها عندما يكون الجيش بعيداً عنا هذا بالنهار، أما ليلاً فقد كان الجنود يقومون بالانسحاب وتعود الطائرات للقصف طوال الليل مجدداً، وكانت هذه الأيام الثلاثة صعبة وشديدة، حيث كانت الجرافات تقوم بالهدم وعندما بدأت الجرافات بالهدم في أماكن لم نتوقعها وتشكّل خطراً مباشراً، حاول المقاومون تعطيلها من خلال زرع عبوات ناسفة لكن دون فائدة فهذا لم يؤثر عليها. في اليوم التاسع ضعفت المقاومة ولم تعد تسمع صوت إطلاق نار أو عبوات من قبل المقاومين، ولم يكن سوى صوت قصف من قبل الجيش حيث لم يعد المقاتلون يستطيعون التنقل بسهولة بعد الهدم الذي قاموا به ونشر القناصة. ويبدو أن الجيش أثناء ذلك ظهر أنه استطاع إبادة المقاومة كلياً، وبدأ بالتقدم بجنود المشاة داخل الحارات وكانت كل مجموعة تضم من ٢٠-٢٥ جندياً معاً.

في اليوم العاشر كانت هناك مجموعتان قد نصبتا كميناً للجيش في حارة الدمج، في حوالي الساعة الثالثة والنصف صباحاً دخلت مجموعة من الجنود بين الكمينين وعند ذلك بدأ المقاومون بإطلاق النار وتفجير العبوات وإلقاء القنابل اليدوية باتجاه الجنود، مما أدى إلى قتل ١٣ جندياً، وجرح آخرين، وقد استشهد ثلاثة مقاتلين وانسحب الجيش عن الأرض وبدأ الطيران مرة أخرى بالقصف الشديد مما اضطر المقاومين للانسحاب، وبعد ذلك لم نعد نرى جنوداً مشاة يتقدّمون، وقد استمر القصف حتى الساعة الرابعة عصراً، وبعدها بدأ الجيش بالتقدم، وقد استطاع فصل بعض المجموعات المقاومة عن بعضها واستسلمت مجموعات بعد حصارها.

كم عدد الذين سلموا أنفسهم في هذه المرحلة؟

لقد سلمت مجموعتان كان عدد الأولى حوالي ٢٠، والثانية حوالي ١٥ مقاتلاً، وأثناء ذلك لم يبق في المخيم سوى المقاومين، في اليوم الحادي عشر كنا قد بقينا ٢٨ مقاوماً نحاول أن نجد ثغرات حتى نستطيع أن ننتقل من منطقة إلى أخرى، ولكن لم نستطع، فقد حاولنا في المرة الأولى ولم ننجح، وقد أصيب معنا شاب اسمه وائل أبو السباع .. في البداية كنا مجموعتين، بعد إصابة وائل انضمت المجموعتان إلى بعض. في محاولة أخرى استشهد محمد النورسي وأصيب الزعبور، وقد أيقنا أننا لن نستطيع التحرك والانتقال من المنطقة التي حوصرنا بها، وكشف الجيش موقعنا وحدّده تماماً، ونحن لم نكن نرى الجنود، حيث كنا داخل البنايات. استمر هذا الوضع حتى الساعة العاشرة مساءً وعندها بدأت الجرافات بمحاصرتنا وحاصرونا في نهاية الأمر في ثلاثة بيوت وكان عددنا ٢٨، واستشهد الحج رياض فأصبحنا ٢٧، وكنا ما زلنا نبحث عن طريقة نستطيع من خلالها الخروج والوصول للحارة الغربية .. لم يكن لدى أي منا نيّة للتسليم قبل ذلك اليوم .. وأثناء ذلك بدأ المقاتلون المتواجدون بالنقاش حول خيار التسليم، وقد كان معنا الحاج علي الصفوري، وجمال حويل وثابت المرداوي، وعمر الشريف، وفريحات، ومهدي بشناق، وقد كانت هناك أغلبية للتسليم على أساس أنه لا مجال لمقاومة الجرافات لأنها لا تفيد. عند ذلك بدأ جمال حويل بالاتصال، حيث اتصل مع هشام الرخ وهو نقيب بالأمن الوقائي، وكان الأخير متواجداً عند الرجوب وتحدث معه وأخبره أن أوضاعنا صعبة ونريد التسليم، وتحدث جمال حويل مع جبريل الرجوب وأخبره الأخير بأنه سيقوم بالتنسيق لذلك، وطلب جمال أن يتم وقف إطلاق النار والهدم، وفعلاً توقف إطلاق النار والهدم وقدمت إلى المكان طائرات وأباتشي وبدأت بإطلاق إشارات ضوئية، ومعهم كانت طائرة، وأثناء ذلك كان الرجوب يتحدث مع جمال حويل وأخبره أن التنسيق مستمر، وطلب الأخير أن يكون التسليم بوجود طرف ثالث أمريكي أو غيره، وخلال المحادثات تحدث مسؤول الحملة العسكرية الإسرائيلية مع جمال مباشرة وطلب منه أن نسلم أنفسنا وقد استمرت هذه الاتصالات عدة ساعات من الساعة العاشرة مساءً حتى السادسة صباحاً ونحن نماطل ونتحدث عن ضرورة وجود طرف ثالث وفي الصباح تحدث

مسؤول الحملة من خلال مكبرات الصوت، وطلب أن نسلم أنفسنا، وفعلاً بدأنا بتسليم أنفسنا بدون سلاح وقاموا بتقييدنا ووضعنا في منطقة الجامع، ثم قاموا بنقلنا إلى معسكر سالم. وأشير إلى أن الشيخ رياض (ابو عماد) قد رفض تسليم نفسه معنا وانتقل إلى بناية أخرى، وقال إنه لا يريد ان يسلم نفسه ويبقي لوحده وانتقاله إلى البناية المجاورة كان رفضاً حتى للمشاركة بالنقاش .. وسمعت لاحقاً أنه تم دفنه حياً تحت الأنقاض .. أنقاض البناية التي هدموها عليه.

دار حديث عن اتفاق بينكم وبين الجيش عندما قمتم بالتسليم بأن تخرجوا دون أن تخلعوا ملابسكم أو أن ترفعوا أيديكم، هل تم ذلك؟

لقد خرجنا وسلمنا أنفسنا دون أن نرفع أيدينا أو أن نخلع ملابسنا حسب ما تم الاتفاق عليه، إلا أننا عندما وصلنا إلى الجنود طلبوا منا أن نخلع القميص وتحدث جمال مع مسؤول الحملة حول ذلك وقد خلعنا بالتالي قمصاننا، وبخصوص رفع اليدين طلب منا مسؤول الحملة أن نرفع ايدينا وتحجج بأن ذلك من مصلحتنا، حيث أنه ربما يقوم جندي بإطلاق النار على أحدنا.

قلت إن الهدم للمنازل بدأ فعلياً باليوم الخامس، هل كان سكان بداخل المنازل؟

نعم، لقد تقدمت الجرافات وبدأت بالهدم والسكان داخل المنازل، وحصل ذلك في حارة الحواشين والدمج وفوق المستشفى، وقد كان الناس يخرجون من البيت ويسلمون أنفسهم عندما كانوا يرون الجرافة تتقدم باتجاه البيت، وقد بدأ الأهالي بتسليم أنفسهم في اليوم السابع والثأمن وقد هدموا البيوت.

الرواية الإسرائيلية تقول إنكم أخبرتم المدنيين بعدم المغادرة، ما مدى صحة هذه الرواية؟

نحن لم نخبر المدنيين على ذلك، نحن دعونا الأهالي إلى أن يبقوا للحفاظ على منازلهم من الهدم، وهذا بعد اليوم السادس، حيث كانت البيوت التي لا يوجد بها أحد وكذلك البيوت الأخرى وكان عندنا اعتقاد أنهم لن يقوموا

بهدم البيوت على السكان لكنهم فعلوا. لقد كان الأهالي يدعوننا للدخول لمنازلهم ونحن نرفض، حيث أنهم كانوا يريدون تقديم الطعام. وقد حصل ذلك معي أنا شخصياً ولم أدخل خوفاً من أن يتم قصف المنزل، ورغم ذلك كان الجيش يقصف بشكل عشوائي.

هل استخدم الجيش المدنيين كدروع بشرية؟

أنا لم أشاهد ذلك لكن هذا لا يعني أنهم لم يستخدموا هذا الأسلوب فقد سمعت من المقاتلين أنهم استخدموه فعلاً.

قلت إنك قدمت إلى المخيم مع أبو الجندل على أي أساس بقيت بالمخيم أهناك أمر من السلطة بالبقاء؟

نحن كنا قد وصلنا إلى المخيم قبل خمسة أيام من الاجتياح الأخير، حيث جاءت أوامر لنا باخلاء المواقع، وقمنا بذلك وتوجهنا للمخيم، حيث أنه المنطقة الأفضل. وقد قال لنا أبو الجندل إن أفضل موقع نتواجد فيه هو المخيم، وأن نقوم هناك بالانضمام للمقاومة. صدرت أوامر من قائد المنطقة فايز عرفات لجميع الأجهزة بأن من يريد أن يذهب إلى بيته يستطيع ذلك، وهناك عساكر قد قاموا بالذهاب إلى منازلهم، أما أبو الجندل فقد قال لنا إنه لن ينسحب من المخيم وقد شجعنا على ذلك وقررنا ان نبقى للدفاع عن المخيم، وقد صدرت كذلك أوامر بتسليم السلاح من قبل نائب قائد المنطقة.

هل كنت شاهداً على المكالمة التي وصلت لأبو الجندل وأمروه فيها بالانسحاب؟

في البداية طلب من أبو الجندل الانسحاب وتسليم الأسلحة للمقاطعة وقد رفض ذلك، وعلى ضوء رفضه قالوا له ألا يمنع أياً من عناصر الأمن الوطني الموجودين معه ويريد أن ينسحب، من أن ينسحب. وقد طلب أبو الجندل، عندما بدأ الطوق، ذخيرة من قائد العمليات وأخبره الأخير أنه الآن لا يوجد ذخيرة، مع العلم أنه كان هناك ذخيرة كافية، وقالوا فيما بعد بأنهم سيرسلون ذخيرة في الوقت المناسب لأنه الآن لا يوجد بوادر تشير إلى أن هناك اجتياحاً، وقد انسحب قادة الأجهزة من جنين إلى محور الهاشمية وبنفس

الوقت قدم جنود من الأمن الوطني من تلك المنطقة للدفاع عن المخيم مفضلين مخالفة أمر البقاء في الهاشمية.

بصفتك عرفت وعملت مع أبو الجندل ولازمته خلال المعارك، حدثنا عنه كقائد وكإنسان..

بالنسبة لأبو الجندل حقيقة كان إنساناً مقاتلاً ومتحمساً للقتال حتى قبل الأحداث، كان يجلس معنا ويحدثنا فقط بلغة القتال والصراع مع إسرائيل، وقال إن هذا السلام لن يدوم وأن صراعنا سيطول كثيراً ويحاول دائماً تهيئتنا لهذه المعارك معنوياً ونفسياً .. في أحداث انتفاضة الأسرى كان مشاركاً مباشراً بهذه الانتفاضة، حيث أوقع في الجيش الإسرائيلي ثلاث إصابات، حيث أطلق أبو الجندل على قائد الارتباط الإسرائيلي في D.C.O واسمه (تيران) وثلاثة جنود آخرين، وعلى أثرها تم توقيف أبو الجندل عن العمل بقرار من السلطة، حتى أنهم أوقفوا ايضاً مسؤول الوحدة الذي كان أبو الجندل نائبه عن العمل، واسمه رياض الطرشة، وقد تم نقل أبو الجندل من العمل وأرسل لبيت لحم، ومن ثم حدثت مشاكل معه هناك واعتقل لدى جهاز الاستخبارات، وفي النهاية نقل إلى جنين واستلم قيادة وحده وهي وحدة التنفيذ والاستطلاع التابعة لقسم العمليات وبقي مسؤولاً لهذه الوحدة لغاية الأحداث التي جرت في مخيم جنين .. وقد كنا دائماً نخوض النقاشات معه وكان يحدثنا عن المعارك التي شارك بها أيام بيروت وهو شبل أمام الجيش الإسرائيلي الذين كان يراهم جنوداً جبناء .. لم يكن أبو الجندل على الإطلاق على علاقة بما يحدث في جنين طوال انتفاضة الأقصى، وكان يداوم في حاجز الهاشمية، ولم يتدخل بشيء وبقي معزولاً إلى أن جرت الاعتقالات السياسية في صفوف حماس والجهاد والفصائل، ومنهم اعتقال الحج علي الصفوري .. دائماً كان يقول لنا حتى لو أقول لكم لا تطلقوا النار على الإسرائيليين لا تلتزموا بما أقوله. وكان دوماً يكرر بأننا يجب أن لا نطلق النار إلا إذا دخلوا مناطق (أ) لكنه أول من أطلق النار على الإسرائيليين حتى قبل دخولهم هذه المناطق في جنين. أبو الجندل كان اجتماعياً جداً وكان معنا ليس انطلاقاً من رتبته وبصفتنا جنود تحت قيادته، وإنما كصديق وبدون فواصل وحواجز قد تفرضها الحياة العسكرية، إلا أنه عندما كان يقف ليوزع علينا مهاماً ومسؤوليات

كان يتصرف بلغة الأمر وبجدية، وانطلاقاً من رتبته العسكرية .. وفي أوقات الفراغ كنت تلمس كم هو إنسان صاحب نكتة ولديه روح دعابة عالية.

حدثنا لاستكمال سؤال سابق بتفصيل أوضح بشأن المكالمة التي جرت بين أحد المسؤولين وأبو الجندل عشية الاجتياح الأخير.

عندما تأكّد أمر حصار المخيم والاجتياح بات وشيكاً، اتّصل أحد المسؤولين وطلب من أبو الجندل بأن يتم سحب قوات الأمن الوطني من المخيم. ورد عليه بأنني منذ أسبوعين داخل المخيم ونحضّر لهذه المواجهة لجانب المقاومة حتى ولو نطلق النار على الجيش عن بعد فكيف تريدني الآن أن أسحب القوّات من المخيم ورفض الطلب. فرد الأخير بأنني آمرك أن تنسحب فأجابه بالرفض وأنه سيعرض الأمر على المقاتلين ومن يريد الذهاب لبيته ليذهب بعد أن يترك سلاحه في المخيم .. فرد هذا المسؤول: بهذا أفهم أنك ترفض الأمر العسكري فرد أبو الجندل .. نعم أنا أرفض الأمر العسكري وسأقاتل في المخيم حتى لو نسفوه كله على رؤوسنا ورمى جهاز الميرس على الارض .. ومباشرة دار على كل المحاور حيث وزع أفراد الأمن الوطني عليها لجانب المقاومة وأبلغهم بالمكالمة واستمر في زيارة المواقع وهو يحدّث الشباب عن المعارك، وأن ما هو قادم ليس خطراً ويرفع من معنوياتهم بشكل كبير .. حتى أنني كنت أمازحه وأقول له بأنه سيجري له ما جرى لباقي الضباط في المناطق الأخرى سترمي سلاحك وستلقي بلباسك العسكري. فكان يرد مهما كان الأمر لن ألقي بسلاحي ولباسي العسكري وهذا أمر مستحيل. وقد استفزه جداً منظر المقاتلين في رام الله وهم يخرجون بدون ملابسهم ورافعين أيديهم ولما شاهد أفراد الأمن المقاتلين في داخل غرفة حيث تم إطلاق النار عليهم عن قرب وإعدامهم .. عندها بدأ في نفس الليلة يدور على كل المواقع ويقول لنا سواء قاتلتم أو لم تقاتلوا الجيش الإسرائيلي سيقتلكم كما فعل في رام الله وعليكم الصمود والقتال، وأبو الجندل عندما يروي ويتحدث له أسلوب إنفعالي مقنع للشباب ومؤثر جداً عليهم، لدرجة أن جميع المقاتلين يريدون أن يكونوا معه في القتال وكان مقاتلو الفصائل يطلبون ذلك وليس فقط أفراد الأمن الوطني.

لقد حدثنا الحج أبو علي الصفوري عن قصة استشهاد أبو الجندل وقال بأنهم كانوا موجودين معه في بيت ولما اقتربت إحدى الجرافات لهدمه هربوا عن طريق فتحة في الجدار. أبو الجندل اختصر الوقت وخرج من البيت وعن الطريق العادي أراد تجاوز خطر الجرافة عندها أصيب وسمعوه يصرخ أنه مصاب، ولاحقاً تم تصفيته، كيف استشهد أبو الجندل بالضبط؟

أنا في الحقيقة انفصلت، بسبب القصف، عن أبو الجندل، وفي اليوم التاسع التقيته لمدة خمس دقائق فقط، حيث كنت مصاباً وجاء يمازحني بأنه تخلى عني بسبب الإصابة لأنه يريد مقاتلين أصحاء. عموماً في هذا اليوم ذهب لوحده ومعه كان شاب اسمه عمر عطياني من عنزة.. وقد حدثني الأخير الذي التقيته في أول يوم اعتقال لي في السجن بانهم اي هو وابو الجندل تواجدوا في بيت كانت الجرافات تحاول هدمه، فقال أبو الجندل إنه سيحاول الخروج وقطع الشارع الذي يقع تحت المستشفى للذهاب للحارة المهدومة هناك ويحتمي بالجرف. عندما خرجوا وأصبح أبو الجندل في وسط الشارع والشاب (عمر) كان فوق تلة ترابية، شاهد الجنود، وعندما أراد العودة للوراء أطلقوا النار عليه فأصابوه في عنقه، وتمكن من تحذير عمر بأن يعود، لكن عمر أصيب برصاصة في خاصرته، فجاء الجنود إلى الشاب الذي بقي بكامل وعيه وسألوه من هذا الذي معك؟ هل هو أبو الجندل؟ قال لهم اسمه أبو محمد .. فطلبوا من الشاب الاقتراب من أبو الجندل كي يفك الجعبة التي حملها على صدره حيث كانوا يخشون من أنها حزام ناسف. وفعلاً فك الحزام ووجد أن أبو الجندل حي لم يمت، حيث كان يحرّك ساقه ويده ونفسه عادي، ولما ذهبوا آخذين عمر معهم وقد ابتعدوا قليلاً، سمع عمر ٤ رصاصات أطلقت، ويعتقد بأنها كانت الرصاصات التي أطلقت على أبو الجندل وقتلته.

منشورات مواطن

سلسلة مبادئ الديمقراطية

ما هي المواطنة؟
فصل السلطات
سيادة القانون
مبدأ الانتخابات وتطبيقاته
حرية التعبير
عملية التشريع
المحاسبة والمساءلة
الحريات المدنية
التعددية والتسامح
الثقافة السياسية
العمل النقابي
الاعلام والديمقراطية

سلسلة ركائز الديمقراطية

التربية والديمقراطية
رجا بهلول
حالات الطوارئ وضمانات حقوق الانسان
رزق شقير
الدولة والديمقراطية
جميل هلال
الديمقراطية وحقوق المرأة بين النظرية والتطبيق
منار شوربجي
سيادة القانون
اسامة حلبي
حقوق الانسان السياسية والممارسة الديمقراطية
فاتح عزام
الديمقراطية والعدالة الاجتماعية
حليم بركات

سلسلة مداخلات واوراق نقدية

واقع التعليم الجامعي الفلسطيني: رؤية نقدية
ناجح شاهين
طروحات عن النهضة المعاقة
عزمي بشارة
ديك المنارة
زكريا محمد

لئلا يفقد المعنى (مقالات من سنة الانتفاضة الاولى)
عزمي بشارة
في قضايا الثقافة الفلسطينية
زكريا محمد
ما بعد الاجتياح :في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية
عزمي بشارة
المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين
وليد سالم
الحركة الطلابية الفلسطينية ومهمات المرحلة تجارب وآراء
تحرير مجدي المالكي
الحركة النسائية الفلسطينية اشكاليات التحول الديمقراطي واستراتيجيات مستقبلية
وقائع مؤتمر مواطن ٩٩
اليسار الفلسطيني: هزيمة الديمقراطية في فلسطين
علي جرادات
الخطاب السياسي المتبلور ودراسات أخرى
عزمي بشارة
أزمة الحزب السياسي الفلسطيني
وقائع مؤتمر مواطن ٩٥
المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في فلسطين
زياد ابو عمرو واخرون
الديمقراطية الفلسطينية
موسى بديري واخرون
المؤسسات الوطنية، الانتخابات والسلطة
اسامة حلبي واخرون
الصحافة الفلسطينية بين الحاضر والمستقبل
ربى الحصري واخرون

سلسلة اوراق بحثية

دراسات اعلامية
تحرير: سميح شبيب
الثقافة السياسية الفلسطينية
باسم الزبيدي
العيش بكرامة في ظل الاقتصاد العالمي
ملتون فيسك

الصحافة الفلسطينية المقروءة في الشتات ١٩٦٥-١٩٩٤
سميح شبيب
التحول المدني وبذور الانتماء للدولة في المجتمع العربي والاسلامي
خليل عثامنة
المساواة في التعليم اللامنهجي للطلبة والطالبات في فلسطين
خول الشخشير
التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الاسيرة
خالد الهندي
التحولات الديمقراطية في الاردن
طالب عوض
النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين
محمد خالد الازعر
البنية القانونية والتحول الديمقراطي في فلسطين
علي الجرباوي

سلسلة دراسات وأبحاث

حركة معلمي المدارس الحكومية في الضفة الغربية ١٩٦٧-٢٠٠٠
عمر عساف
اسطورة التنمية في فلسطين الدعم السياسي والمراوغة المستديمة
خليل نخلة
جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨-١٩٤٨
فيصل حوراني
القطاع العام ضمن الاقتصاد الفلسطيني
نضال صبري
هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز
ساري حنفي
تكوين النخبة الفلسطينية
جميل هلال
الحركة الطلابية الفلسطينية الممارسة والفاعلية
عماد غياظة
دولة الدين، دولة الدنيا: حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية
رجا بهلول
النساء الفلسطينيات والانتخابات، دراسة تحليلية
نادر عزت سعيد
التحرر، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في العالم الثالث
وقائع مؤتمر مواطن ٩٧

المرأة وأسس الديمقراطية
رجا بهلول
النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية
جميل هلال
ما بعد اوسلو: حقائق جديدة
تحرير: جورج جقمان
ما بعد الأزمة: التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية، وآفاق العمل
وقائع مؤتمر مواطن ٩٨
اشكالية تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي
وقائع مؤتمر مواطن ٩٦
العطب والدلالة في الثقافة والانسداد الديمقراطي
محمد حافظ يعقوب
رجال الاعمال الفلسطينيون في الشتات والكيان الفلسطيني
ساري حنفي
مساهمة في نقد المجتمع المدني
عزمي بشارة
حول الخيار الديمقراطي
دراسات نقدية

سلسلة التجربة الفلسطينية

يوميات المقاومة في مخيم جنين
وليد دقة
الجري الى الهزيمة
فيصل حوراني
اوراق شاهد على حرب
زهير الجزائري
البحث عن الدولة
ممدوح نوفل

سلسلة تقارير دورية

نحو نظام انتخابي لدولة فلسطين الديمقراطية
جميل هلال،عزمي الشعيبي وآخرون
الاعمال التشريعية الصادرة عن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية
سناء عبيدات

هذا الكتاب

هذا كتاب مختلف، كتاب التقطه أحد الأسرى القدماء في سجون الاحتلال من أفواه رفاقه الجدد: مقاتلي معركة مخيم جنين، الذين أسروا بعد أن خاضوا معركة المخيم حتى الطلقة الأخيرة. لذا فهو وثيقة ساخنة وحية، تروي فيها الوقائع يوماً بيوم، وبالتفاصيل، ومن جميع الاتجاهات: الاشتباك العسكري، تكتيكات العدو، تكتيكات المقاومة، الأسلحة المستخدمة، العلاقة مع أهالي المخيم، العلاقة مع وسائل الإعلام، وكل شيء.

من أجل هذا، فالكتاب كتاب تأسيسي حقاً، أي أنه يعطينا المادة الخام التي تمكننا من النظر بشكل جدي في معركة «مخيم جنين» لاستخلاص العبر منها. وعلي أن أقول إنها ليست عِبراً محلية الطابع، أي أنها لا تخص الوضع الفلسطيني وحده، بل عِبر عامة تتعلق بإمكانية حروب المدن والتجمعات السكانية في القرن الجديد، القرن الواحد والعشرين.

وإذا كانت هذه المعركة العظيمة أوشكت أن تنسى بعد حرب أمريكا على العراق التي سقطت فيها المدن كما تسقط عريشة من كرتون، فإن هذا الكتاب يأتي لكي يستعيد روحها معلناً أن إرادة الناس في المقاومة هي الأساس.

مواطن
المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

ISBN 9950-312-05-1